

مجلة بحوث
كلية الآداب

سلسلة إصدارات خاصة

(١٠٠)

دلالات الألفاظ في التفكير البلاغي

"دراسة تحليلية"

إعداد

د / أسامة عبد العزيز جاب الله

مدرس البلاغة والنقد الأدبي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة كفر الشيخ

نوفمبر ٢٠١٠

العدد المائة

Web site: <http://Art.menofia.edu.eg> *** E. mail : arts @ mailer . menofia . edu. eg

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا هو
عالم الغيب والشهادة ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، المستحق للعبادة بذاته
ولذاته ، سبحانه لا أحصي ثناء عليه ، فهو كما أثنى على نفسه .
والصلاة والسلام الأتمين الكاملين على سيدنا محمد بن عبد الله ، النور
الهادي من الظلمات إلى النور ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .
أما بعد .

فالنظر في كتب البلاغيين الأوائل يوقفنا على ما تحويه من البحوث القيمة
التي يعالجها أهل العصر الحديث بدعوى الجدة والابتكار ، وما الأمر إلا جِدَّة
الأداة الكاشفة عن تلك المباحث ، وتأسيس النظر على مناهج تتسم بالعلمية
إلى حد بعيد ، مما مكن المستخدم لها من حسن توظيفها بلا تشتيت ذهني ، أو
تفريع غير علمي .

ومن كنوز التفكير البلاغي ما دار حول مبحث الدلالة في مؤلفاتهم ؛ من
حيث الوقوف على فكرة الدلالة عموماً ، ثم تفصيل القول في ارتباط الدلالة
بالمناسبة بين اللفظ والمعنى ، وإنشاء علاقات دلالية بين الكلمات المتجانسة ،
ومن ثم البحث عن أنواع مختلفة من تلك الدلالات مثل ؛ الدلالة الصوتية ،
والنفسية ، والإيحائية وغيرها .

كما أنّ البلاغيين ربطوا بحوثهم في موضوع الدلالة بفن البيان ، وجعلوا
ذلك مقدمة للكلام عن هذا الفن لأنه عندهم كيفية أداء المعنى الواحد بطرق
دلالية متنوعة . فتحدثوا عن أنواع مختلفة من الدلالات اللفظية مثل ؛ دلالة
المطابقة ، ودلالة التضمين ، ودلالة الالتزام ، وفصلوا القول فيها تأصيلاً
وتمثيلاً .

ولذا جاء هذا البحث ليجر مع هذه الجهود البلاغية في مجال دلالة الكلمة ،
وكيف تناولها البلاغيون ، وتبيان حدود هذا تناول ، وأقسامه .
وقد ارتضى البحث لنفسه تقسيماً كالآتي :
توطئة : عقدناها لبيان المقصود بالدلالة ؛ لغة واصطلاحاً ، وأهم النظريات
الحديثة التي تناولت الدلالة بالتحليل .
وجاء المبحث الأول بعنوان : الدلالة اللفظية .
ثم المبحث الثاني بعنوان : الدلالة الصوتية .
والمبحث الثالث بعنوان : الدلالة النفسية .
وأخيراً المبحث الرابع بعنوان : الدلالة الإيحائية .
ثم الخاتمة متضمنة أهم النتائج .
وأعقب ذلك ثبت بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث .
والله ولي كل نعمة ، وهو مولانا وعليه توكلنا واعتمادنا ، وهو أهل
للتقوى وأهل المغفرة ...
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ...

الباحث

توطئة :

تدور المعاني اللغوية والمعجمية لمادة (دلل) حول الاهتداء إلى أمر ، وبيان شيء وإيضاحه . يقول ابن منظور : " والدليل : ما يُستدلُّ به . والدليل : الدالُّ . وقد دلَّه على الطريق يدُّهُ دلالة ودلالة ودلولة . والجمع أدلَّة وأدلاء ، والاسم الدلالة والدلالة ، بالكسر والفتح ، والدلولة . والدليلي . قال سيبويه : والدليلي علمه بالدلالة ورُسوخه فيها . ودللت بهذا الطريق : عرفته ، ودللت به أدلُّ دلالة ، وأدللت بالطريق إدلالاً . والدليلة : المحجة البيضاء . والاسم الدلالة والدلالة ، والدلالة : ما جعلته للدليل أو الدلال " (١) .

فالدلالات المعجمية واللغوية للمادة تتمثل في :

- من يدلّ على الطريق لمعرفته بمسالكها .
- إبانة الشيء بأمانة تتعلمها .
- العالم بالدلالة وتفصيلاتها .
- المحجة البيضاء ، أي الطريق المستقيم .
- الشخص الذي يجمع بين البيعين .
- الأدلة المدللة على صحة شيء ما .
- حرفة يمتنها بعض الأفراد في المجتمع .

الدلالة في الاصطلاح :

كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر عند العلم بما بينهما من علاقة . وهذا يشمل جميع أنواع الدلالات سواء كانت دلالة لفظية أم دلالة غير لفظية .

١- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دلل) ، ٥ / ٢٤٢ .

يقول الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : " الدلالة : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول " (١) . فالحالة التي يقصدها الجرجاني هي حالة التوظيف السياقي للشيء وما يرتبط به في تلك الحالة من لزوم المعرفة بما يحيط بهذا الشيء إسهاماً في إيضاح دلالاته ، وبيان مقصد توظيفه .

ويرى الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) أن الدلالة هي " دلالة اللفظ على معناه مطابقة ، وعلى جزئه تضمن ، وعلى لازمه الذهني التزام " (٢) . وهذا التفصيل في تقسيم الدلالة إنما هو في جانب التقسيم البلاغي لدلالة اللفظ على المعنى كما يأتي في البحث .

ولا يخرج كل من الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) (٣) والتهانوي (كان حياً في ١١٥٨ هـ) (٤) في معجميهما عن هذا التفصيل السابق عليهما إلا بإيراد التفريعات والتقسيمات المنطقية والأصولية .

فللدلالة إذن تقوم على العلاقة بين الدال والمدلول من جهة ، وبينهما وبين لمتلقي من جهة أخرى ، فحمة بثلاث يستدعي انتقال ذهنه لإدراك المدلول .

وعلم الدلالة يختص بدراسة المعنى ، فهو جزء من علم اللغة (اللسانيات) ، وهو قمة الدراسات اللغوية ؛ لأن موضوعه الأساس هو المعنى ، ولا تكون لغة بلا معنى .

- ١- الجرجاني ، لتعريفات ، ١٣٩ .
- ٢- الأنصاري ، لحدود الأئبة في التعريفات الدقيقة ، ٧٩ .
- ٣- أبو البقاء الكفوي ، الكلبيات ، ٤٣٩ - ٤٤٣ .
- ٤- للتهانوي ، كشف اصطلاحات الفنون ، ١ / ٧٨٧ - ٧٩٩ .

وقد ظهر في الغرب هذا العلم عند الفرنسي (بريال)، نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، قاصداً به علم المعنى . ويبحث في الدلالة اللغوية ، أو ما يمكن تسميته بالعلاقات اللغوية ، فموضوعها المعنى اللغوي الذي يبدأ تكونه من المفردة حتى السياق ، مروراً بالتطورات الدلالية . ويدرس كذلك الأصوات اللغوية ، وعلاقات التركيب المؤثرة ، المؤدية إلى الدراسة التكاملية . ويتمثل ذلك بدراسة الدلالة في عدة مستويات: فالدلالة الأساسية المعجمية، والدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والسياقية الموقعية^(١).

وشارك اللغويين في بحث الدلالة علماء ومفكرون ، من اختصاصات مختلفة؛ لأن المعنى اللغوي يشغل الجميع، ويظهر أن سبب الاهتمام بالدلالة؛ كونها " جوهر الظاهرة اللغوية، وبدونها لا يتأتى للألفاظ والتراكيب وظيفة وفاعلية " ^(٢) .

ولما كان علم الدلالة هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى^(٣) . فإننا نجد لزاماً علينا أن نحدد كيفية دراسة المعنى من خلال علم الدلالة . فقد انتهج اللغويون المحدثون العديد من المناهج لدراسة المعنى ، وتبيان طرق الأداء الخاصة به ، وطرق تأدية المحتوى الذهني المراد منه . وتباينت النظريات المتناولة له من حيث تنوع مدخل كل منها ، والوسائل المستخدمة في التحليل . ونعرض لأهم النظريات التي توفرت على دراسة المعنى كما يلي :

١- ينظر: محمد سيف ، البحث الدلالي عند الشوكاتي ، ١٥ .

٢ - د . لطفي عبد البديع ، التركيب اللغوي للأدب ، ٤٣ . - د . محمود السعران ، علم اللغة ، ٢٦١ . - د . تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ٢٤ .

٣ - ينظر : د . محمود السعران ، علم اللغة ، ٢١٣ . - د . علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ١٣ . - د . محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ١٣٠ - ١٣١ .

١ - النظرية الإشارية Theory of Meaning Naming (١)

يرجع الفضل إلى أصحاب هذه النظرية في تمييز أركان المعنى وعناصره معتمدين في ذلك على النتائج الثرية التي توصل إليها دي سوسير في أبحاثه اللسانية خاصة الإشارة اللغوية باعتبارها وحدة لغوية مكونة من (دال ومدلول) ؛ والدال هو الإدراك النفسي للكلمة الصوتية ، والمدلول هو الفكرة أو مجموعة الأفكار التي ترتبط بالدال (٢). وتنظر هذه النظرية إلى (الدلالة) على أنها هي ذاتها محور الدراسة الدلالية . ومن أشهر أعلامها أوجدن وريتشاردز اللذان قدما المثلث الدلالي الشهير والذي يتمثل في المكونات الآتية :

١- الفكرة (المحتوى الذهني) Concept .

٢- الشيء الخارجي (المشار إليه Referent) .

٣- الصفة (الرمز الشكل Form) .

واتطلقت الدراسات من بعدهما لتتناول أحد أركان هذا المثلث بالتحليل ،

ومن ثم ظهرت عدة اتجاهات لاحقة ومكملة لهذه النظرية مثل (٣) :

أ - (نظريات المدلول) التي تناولت أنواع الدلالة وأقسامها .

ب - نظرية (الإشارة) أو السيميولوجيا Semiotics .

١- تسمى النظرية الاسمية في المعنى . ينظر : د. عبد القادر الفاسي ، اللسانيات واللغة العربية ، ٣٨١ - ٣٨٦ . د. ميشال زكريا ، علم اللغة الحديث ، ١٧٨ - ١٨٠ . د. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة ، ٤٩ - ٥٢ .

٢- عبد القادر الفاسي ، اللسانيات واللغة العربية ، ٥٦ .

٣- ينظر : د. أحمد مختار ، علم الدلالة ، ٥٧ . د. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة ، ٤١ .

٢ - النظرية التصورية = النظرية الفكرية (١) :

تركز هذه النظرية كل جهودها لدراسة (التصور الذهني) للدلالة كفكرة مجردة ، أي دراسة الخلفية الذهنية التي ترتكز عليها الدلالة . وتستند هذه النظرية في دراسة المعنى على آراء الفيلسوف الإنجليزي ؛ جون لوك في القرن السابع عشر الميلادي والتي سماها (النظرية العقلية) ورأى فيها أن الكلمات هي الإشارة الحساسة للأفكار ، وهذه الأفكار هي المغزى المباشر لهذه الكلمات (٢) .

٣ - النظرية السلوكية (٣) :

ارتكزت هذه النظرية على وسائل التجريب والملاحظة والمشاهدة العلمية نظراً للتقدم الحادث في العلوم وقت ظهورها . واهتمت هذه النظرية بدراسة المُمكِن ملاحظته ، وهو السلوك بعيداً عن (الفكرة) أو (التصورات الذهنية) . ويُعدّ بلومفيلد من أهم رواد السلوكية الدلالية ، فقد عرّف معنى الصيغة اللغوية بأنها : " الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه ، والاستجابة التي تستدعيها من السامع . فعن طريق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف . هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة اللغوية " (٤) . أي أنه يأخذ بمبدأ : المثير Stimulus — الاستجابة Response ؛ كمبدأ لدراسة المعنى .

١- د. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة ، ٥٦ .

٢- د. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ٥٧ .

٣- ينظر : د. محمود السعران ، علم اللغة ، ٢٤٧ - ٢٥٠ . - د. منقور عبد الجليل ،

علم الدلالة ، ٧٤ - ٧٨ . - د. سالم شاكر ، مدخل إلى علم اللغة ، ٢٦ - ٣٠ .

٤- د. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ٥٢ .

وقد تطورت هذه النظرية فيما بعد على يد الفيلسوف الأمريكي شارل موريس الذي لاحظ أن الاستجابات قد تتعدد لمثير واحد . وهذا يشير إلى اشتراك دلالات متعددة في صيغة لغوية واحدة ، ذلك أن الكلمة المنطوقة تحمل قيماً أسلوبية يتولد عنها استجابات متنوعة (١).

٤ - النظرية السياقية The Contextual Theory of Meaning (٢):

تقوم هذه النظرية على أساس التشابك العلاقتي القائم بين وحدات اللغة ، والمتعرض دوماً للتغيير والتحوير في البنى المعجمية والتركيبية الخاصة به ، مما أدى إلى أن تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموعة السياقات الواردة فيها ، لأنه - وفقاً لنظرية السياق - لا تتوفر للكلمة معانٍ خارج السياق (٣). ولا تركز هذه النظرية على السياق فقط لتحديد الدلالة ، وإنما تنكئ على عدة مفاهيم أخرى مثل : الوضع والمقام التواصلية والملاحج الفسيولوجية للمتكلم مما يساعد على إنتاج تلك الدلالة .

كما ابتكرت النظرية مفهوم (المعنى المركزي للمنطوق = النواة) وهو الأصل في دلالات المنطوق ، ويصاحبه المعاني الهامشية = الثانوية التي يكتسبها من خلال دورته في فلك الأنساق الكلامية المتنوعة . ويتضح هذا المفهوم بصورة كبيرة عند دراسة المشترك اللفظي Polysemy (٤).

وتبعاً لهذا حددت النظرية أربعة أنواع من السياق هي (٥) :

أ - السياق اللغوي .

- ١- د. أحمد مختار عمر ، علم للدلالة ، ٥٦ .
- ٢- ينظر : ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ٦٩ . - د. محمود السعران ، علم اللغة ، ٢٥١ - ٢٥٤ . - د. محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ١٤٢ .
- ٣- د. عبد القادر الفاسي ، اللسانيات واللغة العربية ، ٣٧٢ .
- ٤- د. أحمد مختار عمر ، علم للدلالة ، ٣٢ .
- ٥- ينظر: د. أحمد مختار ، علم للدلالة ، ٧٧- د. منقور عبد الجليل ، علم للدلالة ، ٨١ .

- ب - السياق العاطفي (الانفعالي) .
- ج - سياق الموقف (المقام) .
- د - السياق الاجتماعي (الثقافي) .

وتعد النظرية بنموذجها الدلالي من النظريات العملية الأكثر تعلقاً بالنظام اللغوي ، بل إنها بطريقتها الإجرائية في تحديد جملة السياقات وما يصاحبها من العوامل الخارجية مثل المقام والحال تعد من أهم النظريات التي تصدت لدراسة المعنى .

٥ - النظرية التحليلية Componential Analysis of Meaning^(١)

تهتم هذه النظرية بتحليل الكلمات إلى مكونات وعناصر . واتخذت هذه النظرية من (المحدد النحوي ، والمحدد الدلالي ، والصفة المميزة) أساساً ثلاثياً للتحليل التكويني للكلمات .

فالمحدد النحوي يقوم بوظيفة التمييز بين دالتين لصفة واحدة تأخذ إحداها في التركيب ووظيفة (الفعلية) وتأخذ الأخرى ووظيفة (الفاعلية) . والمحدد الدلالي يقوم بتخصيص معنى شامل للتركيب انطلاقاً من الدلالات الفردية للمورفيمات التي تؤلف هذا التركيب . والصفة المميزة تشرف على التمييز الدلالي بإبراز العلاقات الحادثة بين الوحدات المميزة^(٢) .

إن تحليل الصيغة (الكلمة) إلى مكوناتها هو الذي يحدد مجالها الدلالي ، وذلك من خلال تطابقها مع صيغ أخرى لها المكونات نفسها^(٣) . وتكمن أهمية هذه النظرية في طابعها التوضيحي إذ إنها تُستخدم في الكثير من مجالات اللغة كالمجاز ، والترادف ، والمشارك اللفظي .

- ١- ينظر : د. كريم حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ٢٨٩ - ٢٩٠ .
- د . أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ١٢١ - ١٢٣ .
- ٢- د. عبد القادر الفاسي ، اللسانيات واللغة العربية ، ٣٧٠ .
- ٣- د. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ١٢٦ .

٦ - نظرية الحقول الدلالية Semantic Fields Theory (١):

وتعنى هذه النظرية بتجميع المفردات في حقول أو مجالات دلالية ، مع التوفر على دراستها لإبراز السمات المميزة لهذه المجموعات . فأى مجال دلالي يتكون من مجموعة من المعاني (الدلالات) المتقاربة ، والتي تجمعها ملامح دلالية مشتركة (٢). ويرى أولمان أن الكلمة " مكانها في نظام من العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية " (٣). وتتمثل هذه العلاقات في (٤):

١- الترادف Synonymy : ويعني أن الكلمتين تتضمنان المكونات نفسها ، ولديهما عناصر تصويرية متماثلة .

٢- الاشتمال (العموم) Hyponymy : وتكون أحد الكلمتين مشتملة على الأخرى وأعم منها .

٣- التضاد Antonymy : وله أنواع هي :

أ- التضاد الحاد Antonymy : وهو التضاد غير المتدرج مثل (حي/ ميت) فهما متقابلتان في الدلالة ، ونقي أحدهما يثبت الآخر .

ب- التضاد المتدرج Graded Antonymy : وهو التضاد الذي يسمح بالتدرج بين طرفي التضاد ، وليس نفي أحدهما مطلقاً مثل : (الصغير / الكبير) ، (الساخن / البارد) .

١- ينظر : د. محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ١٦١ - ١٦٤ . د . أحمد

مختار عمر ، علم للدلالة ، ٩٨ - ١٠١ .

٢- د. كريم حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ٢٩٤ .

٣- ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ٢٠١ .

٤- د . محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ١٤٥ ١٥٢ .

- ج - تضاد التضاييف : وهو نسبة بين (منطوقين) كل منهما مرتبط بالآخر مثل (الأب / الابن) فإن أحدهما لا يدرك إلا مع إدراك الآخر .
- د - علاقة التنافر : وهو نسبة بين (منطوقين) يمكن اجتماعهما معاً في شيء واحد وفي زمان واحد . كذلك يمكن انتفاؤهما معاً في زمان ومكان واحد مثل (الطول / اللون الأبيض) .
- ٤ - علاقة الجزء بالكل .

وهذه النظرية بأساسها التجميعي التصنيفي تُعد منهجاً ملائماً لتفعيل منهج المقارنة بين المجموعات اللفظية في اللغة نفسها .

تلك هي أهم نظريات دراسة (المعنى = الدلالة) وما تشمله من أصول وتفرعات لهذا المصطلح اللغوي .

أقسام الدلالة اللغوية (١) :

تقسيم المعنى في علم الدلالة يخضع لمبدأ عام مفاده أن القيمة الدلالية لأي وحدة معجمية لا يمكن اعتبارها دلالة مستقرة ثابتة ، وإنما يخضع تحديد تلك القيمة لمجموع استعمالات هذه الصيغة في السياقات المختلفة .

وتأسيساً على هذا فإن تقسيم الدلالة لآبد وأن يخضع لمعايير تراعي العلاقة بين (الدال = الكلمة) و (المدلول = المعنى) ، هذه المعايير تتمثل فيما يأتي (٢) :

- ١ - اعتبار العرف .
- ٢ - اعتبار الطبيعة .
- ٣ - اعتبار العقل .

١- ينظر : د. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ٣٦ - ٣٩ . - بيير جيرو ، علم الدلالة ، ٥٠ - ٥٣ . - د. تمام حسان ، الأصول ٣١٩ .

٢ - د. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة ، ١٢٣ - ١٢٧ .

واللغات (الألفاظ في التفسير البلاغي)

فالدلالة اللفظية العرفية ؛ تنعقد بتوافر ثلاثة عناصر هي (اللفظ + المعنى +
الوضع أو الاصطلاح) أي جعل اللفظ دالاً على هذا المعنى دون غيره ، ومن
هنا سميت هذه الدلالة باسم الدلالة (الوضعية) .
والدلالة الطبيعية ؛ هي التي يُعتمد في إدراكها على علاقة طبيعية يتم على
أساسها الانتقال من (الدال) إلى (المدلول) مثل دلالة (أعرّاض المرض)
تقود إلى دلالة (المرض) .
والدلالة العقلية ؛ تُسمى (المنطقية) ويتطلب فيها إدراك طبيعة العلاقة التي
تربط (الدال) بالمدلول .

ويُضاف إلى هذه الأقسام ثلاثة أقسام أخر هي (١) :

- ١ - دلالة المطابقة : وهي دلالة اللفظ على تمام معناه الحقيقي والمجازي .
- ٢ - دلالة التضامن : وهي دلالة اللفظ على بعض معناه الحقيقي والمجازي .
- ٣ - دلالة الالتزام : دلالة اللفظ على معنى آخر خارج عن لازم معناه عقلاً أو
عرقاً ، مثل دلالة (جزء) على مجاور له ، كدلالة الحاجب على العين .
وهذه الأقسام التزمها البلاغيون في بحوثهم البيان عند التعرض لمفهوم
للدلالة للبيانية ، وأوضحوا جلياً مدى إسهام هذه الأنواع في باب البيان كما
سنوضح بعد قليل .

ويقسم د . إبراهيم أنيس الدلالة إلى أربعة أقسام تتمثل فيما يلي (٢) :

- ١ - الدلالة الصوتية (٣) : وهي دلالة الصوت على معناه مثل لفظة (النضخ)
للدلالة على قوة الفوران ، في حين أن لفظة (النضخ) تدلّ على بطئ الفوران .

١- د. محمود سليمان ياقوت ، علم الجمال اللغوي ، ٢ / ٤٧٢ - ٢ / ٤٧٦ .

٢- د. إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ٤٦ - ٥١ .

٣- ابن جني ، الخصائص ، ٢ / ١٥٢ - ٢ / ١٦٠ .

واللغات الألفاظ في التفكير البلاغي

- ويسهم في إبراز الدلالة الصوتية عاملا (النبر) و (التنغيم) بما يحمله من قيم دلالية مضافة إلى سياق الكلمة .
- ٢- الدلالة الصرفية : وتتمثل في الاختيار بين الصيغ الصرفية وفق السياق المراد ، وحسب المقام . فاستخدام صيغة (فَعَل) فيه تمييز دلالي عن توظيف صيغة (فاعل) .
- ٣ - الدلالة النحوية^(١): وهي التي تنبع من اتساق التركيب الجملي للكلمات .
- ٤ - الدلالة المعجمية أو الاجتماعية^(٢): وهي تلك الدلالة التي وُضِعَتْ لمدلول (كلمة ما) ثم تحوَّلت دلالتها بتغير الفهم الاجتماعي لها .

١- ينظر : د. أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ٢٨٥ - ٢٨٦ .

٢- ينظر : د. محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ١٢٩ - ١٣٢ .

المبحث الأول : الدلالة اللفظية

تعارف أهل اللغة على وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله ، فالألفاظ عندهم لم تتفصل عن دلالاتها الصوتية في كثير من الأحيان ، كما لم تتخل عن المعاني الدالة عليها نقدياً وبلاغياً في شتى الوجوه المرتبطة بها عند الإطلاق .
ولا شك أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) قد أفاد الدارسين العرب في مباحث معجمه (العين) حين بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي الحرفي . فقد كان الخليل الرائد الأول في التفصيلات المعنية للبحث ، لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ، ولكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهما المعاصرون عن قصد أو غير قصد .

أما الجاحظ (٢٥٥هـ) وهو يتحدث عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام ، وهي حالة بلاغية ، إنما يتحدث بما يحدثه معنى اللفظ عند السامع من مفهوم لا يتعدى فيه المتكلم حدود دلالة الألفاظ على المعاني لدى المتلقي فيقول : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار التحاللات ، فيجعل نثر صيغة من نثرت مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم المعاني على أقدار المقامات " (١) .

والجاحظ هو أول من قسم للدلالة على الأغراض وفق المقام والمقتضى إلى خمسة أقسام وعبر عنها بقوله : " وكلما كانت أوضح ، كانت الإشارة أبين وأتوّر ، كان أنفع وأجمع ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعوا إليه ، ويحث عليه . بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفلخرت العرب " (٢) .

١- الجاحظ، البيان والتبيين، ١/١٣٩. ينظر: د. محمد حسين ، تطور البحث الدلالي ، ٣٤ .
٢- السابق ، ١/٥٥ . وينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الأعجاز ، ٤٢ ، ٤٣ .

ولالات الألفاظ في التفكير البلاغي

وجَمَعَ الجاحظ أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ في خمسة أشياء بقوله : " أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العُقْد ، ثم الخَط ، ثم الحال التي تسمى نصبية ، وهي الحال الدال التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقتصر عن تلك الدلالة ، ولكل واحد من هذه الخمسة ، صورة بائنة من صور صاحبته ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني الخمسة " (١)

وتعد قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر الإنساني في الحضارات المختلفة ، وقد أسهم فلاسفة ولغويون وبلاغيون وأصوليون عرب في بحث قضايا دلالية متنوعة ، فمنهم من برّر تعدد الدلالات بأن العرب أوقعت اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم ، وسعة ألفاظهم لمفردات حياتهم ، ليدلوا على أن دلالة اللفظ واسعة عندهم . (٢)

غير أن بداية إدراك اللغويين العرب للصلة بين اللفظ ودلالته انبثق من نبع صغير كشفته ملاحظة الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة ، ثم صار ذلك النبع معيناً ضخماً ، استمد منه المتأخرون طاقة هائلة من التحليل التفصيلي العميق . وأول ما جذب لانتباه الخليل إلى دربه كانت الألفاظ المعبرة عن أصوات المسموعات ، ورأى فيها أصواتاً محاكية للطبيعة .

لكنّ هذا الاتجاه لم يكن يستهدف إثبات نوع من الصلة الطبيعية بين أجراس الحروف ودلالاتها من جهة ، ثم بين أنغام الألفاظ ومعانيها الكلية من جهة أخرى ، حيث تبدو أصوات الحروف والصيغ مترابطة مع الدلالة ، بل كان ذلك نتيجة ضرورية لفهم الإيحاء النابع من تتابع الحروف وبناء الكلمات ، كما

١- الجاحظ ، لبيان والتبيين ، ١ / ٥٥ .

٢- د. محمود فهمي حجازي ، منخل إلى علم اللغة ، ٨٤ . وينظر : د. مصطفى مندور ،

اللغة بين العقل والمغامرة ، ، ١٥١ .

قال ابن جنى (ت ٣٩٣ هـ) : " كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومد ، فقالوا صر ، وتوهموا في صوت البازي تقطعاً فقالوا صرصر " (١) .
فمادة (صر) الموظفة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (٢) وردت بلفظة (صرصر) في الآية الكريمة وأنت تلمس فيها اصطكاك الأسنان وترديد اللسان ، فالصاد في وقعها الصارخ ، والراء المضعفة ، والتكرار للمادة في صرصر أضفى صيغة الشدة ، وجسد صورة الرهبة في لفظ (الصر) الذي فيد دلالة ذائقة الشتاء ونازلة الثلج ، وأصوات الرياح العاتية .
أما مادة (الصر) فيعتبر عنها الراغب (ت ٥٠٢ هـ) بقوله إنها : " ترجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد " (٣) .

ويفصل الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) الحديث عن الدلالة الصوتية واللغوية لكلمة (صر) بقوله : " الصرّ : الريح بمعنى الباردة ، نحو صرصر وفيه أوجه ، منها : أن الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة ، وأن يكون الصرّ مصدراً بمعنى البرد فيعود به إلى أصله " (٤) .

ولكننا نضع أيدنا على الحسن الصوتي في اللغة ، فيعطينا دلالة لفظية خاصة ، موائية لسياقات الحدث في هذا الصوت ، فريح صرّ وصرصر ، شديدة البرودة ، وقيل شديدة الصوت (٥) .

يقول د. مهدي هلال : " إن الارتباط بين اللفظ والمعنى ، إنما هو ارتباط للدلالة فيعتبر اللفظ بالنسبة إلى المعنى من جهة دلالاته عليه ، ويعتبر بالنسبة

١- ابن جنى ، الخصائص ، ١٥٢/٢ .

٢- سورة الحاقة : الآية رقم (٦) .

٣- الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ٢٧٩ .

٤- الزمخشري ، الكشاف ، ٥١١/١ .

٥- ينظر : د. محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، ١٨٧ .

إلى اللفظ من جهة ما هو مدلول اللفظ ، لذلك فمدار الأمر البلاغي على اعتبار التراكيب اللغوية ، فالألفاظ المفردة ، ولا تستعمل لإفادتها مدلولاتها المعنوية إلا عند التركيب " (١) . ولذا فإنّ فائدة الألفاظ أن تكون دالة على الأصوات في إظهار المعنى .

ونلمح توظيف لفظ (خرّ) في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ (٢) أنّ هذا اللفظ جاء بصيغة واحدة في عدة استعمالات تدلّ على السقوط والهوى مصحوباً بصوت ما ، وهذا الصوت هو الخريير ، والخريير هو صوت الماء أو صوت الريح أو صوتهما معاً ، فالحدث مسئل من جنس الصوت . ومن هنا يلمح الراغب الأصفهاني دلالة اللفظ الصوتية فيقول : " فمعنى خرّ سقط سقوياً يسمع منه خريير ، والخريير يقال لصوت الماء وغير ، ذلك مما يسقط من علو " (٣) .

والأمر نفسه في قوله تعالى : ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ (٤) ، فاستعمال الخريير تنبيه على اجتماع : السقوط ، وحصول الصوت منهم بالنسيج ، ووجه الدلالة فيما يبدو ، أن الخرّ يأتي بمعنى السقوط من شأق ، وأن الخريير إنما يستعمل لصوت الماء أو الريح أو الصدى محاكياً لهذا اللفظ في ترديده ، فلم يرد مجرد السقوط من (خرّ) ، وإنما أراد الصوت مضافاً إليه الوقوع والوجهة في إحداث هذا الصوت ، وكانت هذه الإضافة الدلالية صوتية سواء أكانت في صوت الماء أم بالوقوع والسقوط أم بالتسييح . (٥)

- ١- للدكتور ماهر مهدي هلال ، الرؤية الأسلوبية ، ٤١ .
- ٢- سورة البقرة : الآية رقم (٢٤) .
- ٣- للراغب ، المفردات ، ١٤٤ . وينظر : ابن جني ، الخصائص ، ٦٥/١ .
- ٤- سورة السجدة : الآية رقم (١٥) .
- ٥- ينظر : د. محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، ١٨٦ .

واللهجات الألفاظ في التفكير البلاغي

فإذا ما جئنا إلى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، فهو حينما يتكلم عن الدلالة من خلال نظرية النظم لديه ، فإنما يتكلم عن الصيغة الفنية التي خلص إليها في شأن الدلالة يقول : " وجب أن يعلم مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى أو عدمه ، ولكن الحكم بوجود المعنى أو عدمه " (١) .

فالألفاظ دالة على المعنى لاشك ، ولكن الحكم القطعي عقلياً بوجود المعاني التي تدلّ عليها الألفاظ ، ودلالة الألفاظ لديه مرتبطة فيما تفيد من معنى عند التركيب ، والدليل لديه على ذلك ، أنك لو فككتها ونثرتها متباعدة غير منتظمة فلا تحصل على الدلالة نفسها وهي مترابطة مركبة (٢) .

ويتبين من استقراءات الجرجاني أن التحول الدلالي ، إنمّا هو تقدير نسبي يسقط المتكلم على اللغة وعلى سامعه فيدرك السامع أنه فعلاً تسلط من المتكلم على جهاز اللغة من خلال دلالة الألفاظ الصوتية . (٣)

وإذا كانت عناية العلماء العرب بالدراسة الصوتية مرتبطة بالبحث في قضايا الإعجاز القرآني ، ولذا ذهب البعض أن القرآن معجز بالمعاني ، وذهب فريق آخر إلى أنه معجز بالألفاظ ، ومن ثمّ شرعوا في التفتيش عن أسباب الجودة والتلاؤم ، والتشاكل والتناظر . وما كانت ذلك سوى البدايات ، فسرعان ما امتد للبحث إلى عالم الشعر ، وإلى عالم اللغة ، وصار الوعاء اللغوي هو الميدان ، لقد استشفوا أهمية العلاقة التي تربط اللفظ بدلالته ، وما زال البحث عن ذات العلاقة هو حيز الزلوية حتى يومنا هذا .

وكان لهذه السمة في دلالة الألفاظ مكانه بارزة في إنشاء الأحكام النقدية والبلاغية منذ نشأتها وتدوينها ، فقد ذهب الجاحظ إلى تخصيص اللفظ بالصوت

- ١- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٢٣٤ .
- ٢- ينظر : د. محمد حسين الصغير ، تطور البحث الدلالي ، ٤٣ .
- ٣- د. عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني ، ١٨٦ ، ١٩٤ .

الذي هو الجوهر الذي تتميز به المقاطع في التأليف فقال : " ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت " (١) .

أما القول بدلالة الألفاظ على الألفاظ ، أو هو من الألفاظ نفسها فليس هذا بالقول السديد من التنظير ، إلا من حيث جرس الألفاظ . وقد بحث عبد القاهر الجرجاني هذا بقوله : " وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك المعنى فيه ، وكونه من أسبابه ودواعيه ، فلا يكاد يعد نمطاً واحداً وهو أن تكون اللفظة فيما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم " (٢) . ولا غرابة أن يربط عبد القاهر بين دلالة الألفاظ وبينئة المتكلم ونفسيته ، وهذا من جملة إضافاته القيمة لنظرية الكلام والاتصال .

كذلك يتابع عبد القاهر بقوله : " إن اللفظة تبع للمعنى في النظم ، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس ، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف " (٣) . ثم قال : " وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللفظة واللسان ، وأنها سواء في النطق والعبارة ، وإنما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة ، ثم قد نجد الرجل منها شاعراً مطلقاً وابن عمه وجار جنباه ونصيق طينه بكياً مفحماً ، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ، والخطيب أبلغ من الخطيب " (٤) .

إن كل الجهود التي تبذل تستهدف الوصول إلى الإدراك ، وكشف الدلالات هو غاية العناية باللغة أو بالإدارة التي تحقق الإنسان ، وليس بشرط أن تقبل كل

١- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٧٩/١ .

٢- عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، ٥ . وينظر : د. محمد الصغير ، تطور البحث الدلالي ، ٤٦ .

٣- عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ٥٦ . ينظر : د. أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ٥٨ .

د. عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية ، ٢٧٣ .

٤- القاضي الجرجاني ، الوساطة ، ١٢ .

ما قال به السابقون من أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، أنها أبعد من ذلك ، تستوعب الممكن الاجتماعي وتتجاوزه بأدلة أصواتها ، ولقد نشطت مناهج مختلفة تدرس الدلالة والإمساك ببعض قوانينها (١) .

ونظراً لأنّ الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس أصواتها فينشأ ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات والدلالات ، فتكون عملية التحول بالصوت عملية مقصودة حيث يشحن الشاعر الكلمات بالتوتر الذاتي حسب مقتضيات ، بحيث يجعل من الصوت صدى للمعنى . وقد تؤدي شدة التأثير بالباعث الصوتي على توليد الكلمات إلى ما يكاد يكون اعتقاداً غامضاً في وجود مطابقة بين الصوت والمعنى . كما قال عبد القاهر : " فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً في النفس ، وجب في اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق " (٢) .

ونجد أنّ ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) قد أخذ بهذا المبدأ في اختيار اللفظ ، فاستجاد اللفظ المزيد إذا كان المعنى يقتضيه ، وعده أدق في الدلالة على المعنى الكثير من اللفظ المجرد . يقول ابن الأثير : " ومما يجرى هذا المجرى قولنا : فعل وافتعل ، فإن لفظة (فعل) لها موضع تستعمل فيه ، ألا ترى أنك تقول : قعت على غارب الجمل ، وإن جاز ذلك ، لكن الأول أحسن ، وهذا لا يحكم فيه غير للذوق السليم ، فإنه لا يمكن أن يقام عليه دليل " (٣) .

ويرى ابن الأثير أنّ في الألفاظ المركبة دلالة مستتبطة هي غير دلالتها مجردة . وفي دلالة الألفاظ على معانيها يشير ابن الأثير إلى موقع اللفظ من النظم ، وإلى أهمية النظم في تقويم دلالة اللفظ . يقول : " بل أريد أن تكون

١- د. مصطفى مندور ، اللغة بين العقل والمغامرة ، ٣٠ .

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٤٣ .

٣- ابن الأثير ، المثل السائر ، ١/١٩١ . وينظر : د. نعمة العزاوي ، النقد اللغوي عند

للعرب : ٢٩٢ .

الألفاظ مسبوكة سبكاً غريباً ، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس ، وهي مما في أيدي الناس " (١) .

ويؤكد ابن الأثير على أنّ المعنى الدلالي بمنظور ما يقابل المنظور السابق ، فعندما يتحدث عن الإيجاز يقول : " والنظر فيه إنما هو المعاني لا إلى الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة ، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع ، إنما يختص بالمعاني ، فربّ لفظ قليل يدل على معنى كثير ، وربّ لفظ كثير يدل على معنى قليل " (٢) .

ونجده يبحث تفصيلات واسعة المدلولات ، ولكنه لا ينسى نظريته في دلالة الألفاظ أو المعنى الدلالي ، ثم يقول في موقع آخر : " فإن كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت يعلم أن إخراج المعاني في الألفاظ حسنة رائقة ينتدّها السمع ولا ينبو عنها الطبع ، خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع " (٣) .

ويوضح العلوي (ت ٧٤٩هـ) مراد الدلالة في علم البيان فيقول : " فإن علم اللغة وعلم الفصاحة وإن كانا متعلقهما الألفاظ المفردة ، لكنهما يفترقان في الدلالة " (٤) .

وقد أشار السكاكي (٦٢٦هـ) بقوله : " وإذا عرفت أن دلالة الكلمة على المعنى موقوفة على الوضع ، وأن الوضع تعيين الكلمة بإزاء معنى بنفسها ، وأن دلالة معنى على معنى غير منتعة ، عرفت صحة أن تستعمل الكلمة

١- ابن الأثير ، المثل السائر ، ١٢٢/١ .

٢- السابق ، ٢٦٥/٢ . ينظر : د. محمد الصغير ، تطور البحث الدلالي ، ٤٩ .

٣- نفسه ، ١٢٠/١ .

٤- العلوي ، الطراز ، ١٧/١ . ينظر : د. مهدي هلال ، جرس الألفاظ ، ٢٨٧ . د. عبد

السلام المسدي ، التفكير اللساني ، ١١٨ .

مطلوباً بها نفسها ، تارة معناها الذي موضوعه له ، مطلوباً بها أخرى ، معنى
معناها بمعونة قرينة " (١) .

ويرى د. رشيد العبيدي أن " دلالة المفردة لا تبقى على ما عرفت به في
تاريخ وضع المعنى للفظ ، بل إن موضوع دلالة الألفاظ هي من المتغيرات التي
تشهدها كل لغات العالم ، وذلك بسبب التطور الدلالي ، والاستعمالات المجازية
، وتغير المواقف النفسية والكلامية ، وبين مستعملي اللغة وانحدار المعنى أو
ارتفاعه " (٢) .

وكما هو معروف فإن الدلالة هي علاقة اللفظ بالمعنى ، فدلالة الألفاظ هي
معانيها التي ينصرف إليها الذهن . وعلم الدلالة أحد فروع علم اللغة ، وإليه
تنتهي الدراسات اللغوية بمختلف مجالاتها . وقد وجد المحدثون أن كل لغة تسير
في تطورها الدلالي على هدى خطوط عامة أطلقوا عليها قوانين المعنى .

وقد تناول المحدثون هذه المظاهر بالبحث في جملة مصادر منها : دلالة
الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، وفقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك ،
ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لعبد العزيز مطر .

ويذكر د. إبراهيم أنيس " أن الصلة بين اللفظ ومدلوله قد استرعت انتباه
قضاء اليونانيين ، وبدأ من سحر الألفاظ في أذهانهم وسيطرتها على تفكيرهم
أن ربطوا بينها وبين مدلولاتها ربطاً وثيقاً ، وجعلوها سبباً طبيعياً للفهم
والإحراك ، فلا تؤدي الدلالة إلا به ، ولا تخطر الصورة في الذهن إلا حين
النطق بلفظ معين ، ومن أجل هذا أطلق هؤلاء المفكرون على الصلة بين اللفظ
ومدلوله للصلة الطبيعية أو الصلة الذاتية " (٣) .

١- لسلكي ، مفتاح العلوم ، ٣٥٨ .

٢- د. رشيد العبيدي ، مباحث في علم اللغة واللسانيات ، ١٦٧ .

٣- د. إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ٦٢ .

والألفاظ في التفكير البلاغي

هذا والتراث البلاغي يشهد بجهود رائدة في تقسيم الدلالة على الألفاظ ، مثلما نلمح عند الرازي (ت ٦٠٦هـ) إذ يقسم دلالة الألفاظ على المعنى إلى قسمين : وضعية وعقلية . يقول الرازي : " فالوضعية كدلالة الألفاظ على المعاني هي موضوعة بإزائها ، كدلالة الحجر والجدار والسماء والأرض على مسمياتها . وأما العقلية فإما على ما يكون داخلاً في مفهوم اللفظ ، كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم البيت ، والإشارة في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة ، ولا يكون متناولاً لأجزائها ، وإما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط ، فإنه لما امتنع انفكاك السقف على الحائط عامة " (١) .

ثم يتحدث الرازي عن الدلالة الوضعية والمعنوية أو الفصلية ، فيرى أن المقصود من الأبحاث المتعلقة بالدلالة اللفظية تنحصر في أمرين أحدهما : أن الفصاحة والبلاغة لا يجوز عودهما إلى الدلالة اللفظية ، والآخر : أن الفصاحة وإن كانت غير عائدة إلى الدلالة اللفظية فإن الأمور العائدة إلى جوهر اللفظ ودلالته الوضعية هي ما يفيد الكلام كمالاً ووزناً وجمالاً (٢) .

ومن المتأخرين الذين تحدثوا عن الدلالة اللفظية حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) حيث نجده يؤكد الحقائق الدلالية السابقة لعصره ، وعنده أن الدلالة اللفظية هي انعكاس الصورة الذهنية لما هو موجود في الأعيان وما حول المتكلم من ظروف ، وهو إنما يحقق في ذلك من أجل أن يتفرغ لإتمام اللفظ بالمعنى وإتمام المعنى باللفظ . يقول حازم : " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان على الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود خارج

١- الرازي ، نهاية الإيجاز ، ٨٧ .

٢- ينظر : السابق ، ٩٠ - ٩١ .

الذهن ، وأنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في إفهام السامعين وأذهانهم " (١) .

ونضرب مثلاً لذلك قول النابغة (٢) :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

يقول عبد القاهر الجرجاني : " ولو اقتصرنا في رصد الدلالة على ما يفهم من الليل باعتبار الإظلام لفاتت الفائدة ، فمن الخطأ اعتبار السواد هو الخاصية المطلوبة على أساس أن الشاعر يقع بهذا تحت غضب الملك بحيث يرى كل شيء أسوداً " (٣) . بل إن كلمة الليل توضح أبعاداً دلالية أخرى ، تتحد وفق السياق وتركيب الكلام مناسبة لما يقال ، ولمن يقال .

والجانب المحسوس من اللغة وهو الصوت بوصفه وسيط الدلالة في عملية التوصيل والإبلاغ والقناة الحاملة للمعنى ، وذلك بإقرار أن الدال وسيط مادي للمتلول بحكم المؤثرات الحسية التي تشحنها اللغة على مستوى اللفظة بوصفها رمزاً دالاً ، وعلى مستوى التركيب المتمم بالتردد الصوتي المولد للإيقاع .

١- حازم القرطنجي ، منهاج البلاغ ، ١٨ .

٢- لتابغة النيبتي ، لديوان ، ٣٨ .

٣- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ٢٢١ .

المبحث الثاني : الدلالة الصوتية

الدلالة الصوتية في البحث اللغوي قديمة راسخة أطرها ابن جني ، وأقرّ صلاحها عندما قال : " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدويّ الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحیح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس " (١) .

ولعل ما ذهب إليه ابن جني قد هياً لابن الأثير الأساس الذي أقام عليه المفاضلة بين الألفاظ باعتبارها داخلّة في حيّز الأصوات ، ووضع لها مقاييسات الحسن والقبح من خلال ما يستحبّ ويستقبح من الأصوات .

ولا يسلم للفظه مدلولها الصوتي دائماً لأنها لا تحدّ بالتعاريف التجريدية التي تحدّها به المعاجم ، إذ يحيط بالمعنى المنطقي لكل كلمة جو عاطفي ينفذ فيها ، ويعطيها ألواناً مؤقتة على حسب استعمالاتها ، وهي التي تكوّن قيمتها التعبيرية ، فقيمة اللفظ عندما ينقطع مدلوله .

ونظراً لأنّ الألفاظ التي يطلقها الإنسان ليست أصواتاً محضة ، وإنما هي أصوات دالة ، وهذه الأصوات التي تصدر عنّا ليست هدفاً لذاتها ، وإنما هي وسيلة تتخذها للتعبير عن الدلالات أو الخواطر التي تجول في أذهاننا .

وقد جعل الجاحظ اللفظ التعبيري أول أصناف الدلالة على المعاني والأغراض فقال : " والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي " (٢) . وفي كلام العرب ما يقع كالإيحاء ، كما يقول المبرد (ت ٢٨٥هـ) : " فغني عند ذوي الأبواب كشفه ، كما قيل : لمحة دالة " (٣) .

١- ابن جني ، الخصائص ، ٤٦/١ .

٢- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٧٥/١ .

٣- المبرد ، الكامل ، ١٧/١ . وينظر : قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ١٥١ .

ويعد فخر الدين الرازي من أوائل البلاغيين الذين أدخلوا الدلالة في بحث البيان ، وقسمها إلى أقسامها التي فصلناها سابقاً .
ويلاحظ أنّ العربي تقنّن في إتقان طرق ترديد الأصوات في الكلمة حتى يكون لها نغم وموسيقى ليسترعي القلوب والعقول بمعانيه وتردداته ، وهذا ما يدل على مهارته في نسج مدلول الكلمات ، وبراعته في ترتيب الحروف وتناسقها ، والهدف من هذا كله هو العناية بحسن جرس الكلمة ، ووقع دلالتها الصوتية في الأسماع . فالصوت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم ، مختلفة الألوان .

وقد تردت الدلالة الصوتية عند القدماء من البلاغيين واللغويين ، فالفراء (ت ٢٠٧هـ) في كتابه (معاني القرآن) يذكر إشارات ثرية تومئ إلى دلالات صوتية في القرآن الكريم ، من غير أن يقيدّها بمصطلحات ، فقد نبّه على الإيقاع في آيات القرآن ، وفواصل الآيات أو رؤوس الآيات . من أمثلة ذلك تعليقه لورود الفاصلة في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾^(١) حيث يقول : " لو قيل ، والله أعلم بما يعنون ، لكن صواباً لكنه لا يستقيم في القراءة " (٢) .
وهذه إشارة إلى الدلالة الصوتية .

وأبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن) ، مهّد الطريق لمعرفة كثير من الألفاظ القرآنية المتنوعة الدلالات عن طريق خاصية الصوت ودلالاته ، فتحدث أبو عبيدة في كتابه عن المجازات القرآنية ودلالاتها الصوتية ، ومن ذلك وصفه دلالة التعبير في قوله تعالى : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٣) بقوله : " لم

١- سورة الانشقاق : الآية رقم (٢٣) .

٢- للفراء ، معاني القرآن ، ٢٥٢/٣ .

٣- سورة فصلت : الآية رقم (٤٠) .

يأمرهم بعمل الكفر ، إنما هو توعد^(١) ، وهو يقصد أن التعبير خرج مخرج التوعد مستعيناً بالدلالة الصوتية التهديدية للفعل (اعملوا) ، وهذا يفهم من نغم الكلام الموحى بالدلالة الصوتية عن الغرض.

ولا شك أن استقلالية آية كلمة بحروف معينة ، يكسبها ذائقة صوتية وسمعية منفردة ، تختلف - دون شك - عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه " مما يجعل كلمة ما دون كلمة - وإن اتحدا بالمعنى - لها استقلاليتها الصوتية ، إما في الصدى المؤثر ، وإما في البعد الصوتي الخاص ، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى ، وإما بإقبال العاطفة ، وإما بزيادة التوقع فهي حيناً تصك المسمع ، وحيناً تهيب النفس ، وحيناً تضيء الصيغة التأثير فزعاً من شيء ، أو توجهها لشيء أو طمعاً في شيء من خلال دلالاته الصوتية " (٢).

وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحدث عن الدلالة الصوتية بإشارات إلى أنه قد تتغير المعاني المتقاربة صوتياً بتغير حرف في الكلمة حتى يكون تقاربه ما بين اللفظتين كتقارب ما بينهما . وعرض ابن قتيبة لما خفي على الناس الذين لا يعرفون إلا اللفظ الظاهر ودلالاته على معناه ، وأن للقرآن من القوة والجمال ، ما قد يخفى على غير أهل الذوق وأرباب البصيرة بالفن البلاغي لذلك يقول : " لا يعرف فضل القرآن إلا من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتتاتها في الأساليب " (٣) .

وهذا المناخ الحافل تضيفه الدلالة الصوتية للألفاظ ، وهي تشكل في القرآن الخاص المتجلى بكلمات مختارة دالة ، تتكون من حروف مختارة فشكلت أصواتاً مختارة ، وهذه السمات في القرآن بارزة الصيغ في مئات التراكيب

١- أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ١٩٧/٢ .

٢- د. محمد الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، ١٦٤ .

٣- ابن قتيبة ، تلويل مشكل القرآن ، ١٦ .

الصوتية في مظاهر شتى ، ومجالات عديدة ، تستوعبها جمهرة هائلة من الألفاظ في ظلال مكثفة من الجرس والنغم والصدى والإيقاع .

وجهود العلماء العرب معروفة في هذا الاتجاه ، فالرمانى (ت ٣٨٦هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) يشير إلى قضايا صوتية بتقسيمه البلاغة إلى عشرة أقسام ، وأولى اللفظ - الذي هو أصوات - أهمية خاصة وهو يتكلم على ما يخص اللفظ كالتلاؤم والفواصل والتجانس وأثر ذلك في النفس ، وعن أي طريق تنفذ إليها ، من طريق حاسة السمع أم حاسة البصر ، أم الذوق ، لأن البلاغة عنده ليست مجرد إفهام المعنى ودلالته الصوتية وإنما البلاغة " إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ " (١) .

ويقصد بهذا ما يتعلق بالدلالة البلاغية وتأثيرها في النفس ، وإيصال المعنى إلى القلب ، والجانب الآخر متعلق بالأسلوب أو الصورة البلاغية المسموعة من اللفظ والصياغة أو النظم .

أما الخطابي (ت ٣٨٨هـ) الذي عاصر الرمانى والمستفيد من جهود علماء البلاغة القداماء فيقول : " إن الكلام إما يقوم بأشياء ثلاثة : لفظ حاصل ، ومعنى به قائم ، وربط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ، ولا أجزل ، ولا أعذب من ألفاظه " (٢) .

وهذا مما ينطبق على الدلالة الصوتية في القرآن بجميع الأبعاد ، يضاف إليه للوقع السمعي للفظ ، والتأثير النفسي للكلمة من خلال مدلول صوتها .

١- الرمانى ، النكت في إعجاز القرآن ، ٧٥ .

٢- الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ٢٧ .

وذهب ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) إلى تقرير دلالة الصوت على أنها دلالة ذاتية لأنه " لا يجوز وجود الصوت إلا في محل ... ولأنه يختلف ، باختلاف حال محله فيتولد من الصوت في (الطست) خلاف ما يتولد في (الحجر) ، فالصوت حادث من أثر المصاككة الموضوعية لذات الشيء المحدث له ، وكذلك أصوات الألفاظ فهي ساذجة غفلة تحدث لها في الحلق والفم والشفقتين ، مقاطع تنثيها عن امتدادها ، فتخرج الحروف . ومنها الألفاظ دالة على جهات الكلام كحروف الشيء وجهاته " (١) . وهذه الدلالة الصوتية هي التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها ، فتوحي بوقع موسيقي خاص ، يستتبط من ضم الحروف بعضها إلى البعض الآخر .

وحكاية الأصوات في الشعر العربي ، ظاهرة ناجمة عن نزوع المبدع إلى محاكاة الواقع وتصويره مثلما نجد في قول امرئ القيس :

على العقب جيش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حميه على مرجل (٢)
" تجد فيه كلمتي (جيش) و (واهتزاه) تحكيان تردد أنفاس الحصان وحركته ، حتى إذا قرنتها (بغلي المرجل) تحول المعنى بدلالة صوت الغليان الذي يدل على الحركة والاضطراب إلى معنى ثان قصده الشاعر ، وهو سرعة حصانه ، وقد ولد ذلك في ذهن المتلقي قدرة صيغة المبالغة التعبيرية والمصدر بدلالته الصوتية " (٣) .

وأول من أشار إلى المناسبة بين اللفظ ومدلوله ، أو الصوت وما يدل عليه من علماء اللغة العربية هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي يرى أن هناك اتفاقاً بين الصوت وما يدل عليه ، وقد بدأ تحليل الصلة بين اللفظ ودلالته

١- ابن سنان ، سر الفصاحة ، ١١ . وينظر : د. إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ٤٦ .

٢- امرؤ القيس ، الديوان ، ٣٧ .

٣- د. محمد الصغير ، المثل القرآني ، ١٥٨ .

ودلالات الألفاظ في التفخيم البلاغي

الصوتية من منبع صغير كشفته ملاحظة الخليل في القرن الثاني للهجرة ، ثم صار ذلك النبع معيناً ضخماً ، استمد منه المتأخرون طاقة هائلة من التحليل التفصيلي العميق . ولعل أول ما جذب انتباه الخليل إلى ذلك كانت الألفاظ المعبرة عن أصوات مسموعات ، وأرى فيها أصواتاً محاكية للطبيعة ، وليس هذا إثباتاً لوجود نوع من الصلة الطبيعية بين أجراس الحروف ودلالاتها من جهة ، ثم بين أنغام الألفاظ ومعانيها الكلية من جهة أخرى ، وفي ذلك النظر تبدو الحروف والصيغ مترابطة مع الدلالة ، وكان هنالك نتيجة ضرورية للإيحاء من تتابع الحروف ، أو بناء الكلمات .

وقد ذهب ابن جني إلى وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله ، وكثير من الألفاظ لم تتفصل عن دلالتها الصوتية في كثير من الأحيان ، كما لم تتخل عن المعاني الدالة عليها نقدياً وبلاغياً في شتى الوجوه المرتبطة بها (١) .

ولاشك أن الخليل بن أحمد قد أفاد الدارسين العرب وغيرهم في مباحث معجمه الأصيل (العين) حين تحنث عن تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر النيبوي الحرفي ، وقد كان الخليل الرائد الأول في التفصيلات المضنية للبحث ، لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ولكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ للصوتية كما يفهمها للمعاصرون عن قصد أو غير قصد (٢) .

لما للجاحظ وهو يتحدث عن مناسبة الكلام لمقتضياته وهي حالة بلاغية إنما يتحدث عما يُحدثه معنى اللفظ عند السامع من مفهوم لا يتعدى فيه المتكلم حدود دلالة الألفاظ الصوتية على المعاني لدى المتلقي . يقول : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار

١- ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ٦٦ / ١ - ٦٩ / ١ .
٢- ينظر : د. محمد حسين الصغير ، تطور البحث الدلالي ، ٣٤ .

وعلامات الألفاظ في التنفير البلاغي

الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني " (١) .

وهو بهذا يريد أن يتحدث عن الدلالة في أبعادها المخصصة لها ، فلا تتعدى حدودها ولا تتجاوز مفهومها ، حتى وإن ربط بينها وبين عقلية المتلقي في مطابقة المقام لمقتضى الحال ، ومطابقة الكلام لمناسبة المقام .

إن موضوع دلالة الألفاظ الصوتية ، هو من المتغيرات التي تشهدها كل لغات العالم ، وذلك بسبب التطور الدلالي ، والاستعمالات المجازية ، وتغير المواقف النفسية والكلامية بين مستعملي اللغة وانحدار المعنى أو ارتفاعه ، فترتيب الألفاظ في النطق يكون بترتيب المعاني في الذهن ، وأن مزية دلالة الألفاظ ليست في سماعها بالأذن ، بل حيث ترتب الألفاظ بأصواتها على ترتيب المعاني في النفس .

وفي صحيفة بشر بن المعتمر ، ذكر للبلاغة ، وحديث عن مظان الكلام وفصاحته يقول فيها : " خذ من نفسك ساعة فراغك ، وفراغ بالك وإجابتها إياك وإن قليل تلك الساعة جوهرأ ، وأشرف حسبأ ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع ... وكن في إحدى ثلاث منازل : فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً ، وقحماً سهلاً ، ويكون معك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً ، فإن لممكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، وإقتدارك في نفسك على أن تفهم للعلمة الخاصة وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تنطف عن الدهاء ولا تجفو عن الإلقاء ، فانت البليغ التام " (٢) .

١- الجلظ ، للبيان والتبيين ، ١٣٩/١ .

٢- السليق ، ١٣٥/١ . وينظر : ابن رشيق ، الصدة ، ٢١٣/١ .

ولالات الألفاظ في التعبير البلاغي

وكان لهذه السمة في الألفاظ مكانة بارزة في دلالتها الصوتية ، وفي الأحكام النقدية والبلاغية ، منذ نشأتها وتدوينها ، فقد ذهب الجاحظ إلى تخصيص اللفظ بالصوت الذي هو الجوهر الذي تتميز به المقاطع في التأليف . ومن هنا نلاحظ أهمية الصوت عند الجاحظ وبدونه لا يتم الكلام بشكله السليم والمفهوم ، وبدونه أيضاً لم تكن الألفاظ التي يطلقها الإنسان أصواتاً محضة ، وإنما هي أصوات دالة ، وهذه الأصوات التي تصدر عنها ليست هدفاً لذاتها ، وإنما هي وسيلة تتخذها للتعبير عن الدلالات أو الخواطر التي تجول بأذهاننا . وفي كلام العرب ما يقع كالإيحاء ، فغني عند ذوي الأبواب كشفه ، لأنه لمحة دالة (١) .

ويعد فخر الدين الرازي من أوائل البلاغيين الذين أدخلوا الدلالة في بحث البيان وجعلها مقدمة لبحث علوم البلاغة ، وقد فصل الرازي القول في الدلالات وقسمها إلى : وضعية وعقلية والتزامية (٢) . يقول الرازي : " فالموضعية كدلالات الألفاظ على المعاني هي موضوعة بإزائها ، كدلالة الحجر والجار والسماء والأرض على مسميتها ، وأما العقلية فإما يكون داخل في مفهوم للفظ ، كدلالة لفظ البيت على السقف ، الذي هو جزء مفهوم البيت ، ولاشك في كونها عقلية ، لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة ولا يكون متناولاً لأجزائها ، وإما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط ، فإنه لما امتنع تفكك السقف على الحائط عادة كان اللفظ المفيد لحقيقة السقف مفيداً للحائط بواسطة دلالاته على الأول ، فتكون هذه الدلالة عقلية " (٣) .

١- للمبرد ، للكامل ، ١٧/١ .

٢- ينظر : للرازي ، نهاية الإيجاز ، ٨٧ . وينظر : د. مهدي هلال ، جرس الألفاظ ، ٢٨٧ .

٣- السابق ، ٨٨ .

إن المقصود من الأبحاث المتعلقة بالدلالة اللفظية ، منحصر في أمرين أحدهما ؛ أن الفصاحة والبلاغة لا يجوز عودهما إلى الدلالة اللفظية ، والآخر ؛ أن الفصاحة وإن كانت غير عائدة إلى الدلالة اللفظية فإن الأمور العائدة إلى جوهر اللفظ ودلالته الوضعية هي ما يفيد الكلام كمالاً وزنة وجمالاً (١) .

فإذا ما جئنا إلى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فهو حينما يتكلم عن الدلالة من خلال نظرية النظم لديه ، فإنما يتكلم عن الصيغة الفنية التي خلص إليها في شأن مدلولها الصوتي . يقول : " وجب أن يعلم مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى أو عدمه ، ولكن الحكم بوجود المعنى أو عدمه " (٢) . فالألفاظ دالة على المعنى لاشك ، ولكن الحكم القطعي عقلياً بوجود المعاني التي تدل عليها الألفاظ .

ودلالة الألفاظ لديه مرتبطة فيما تفيد من معنى عند التركيب ، ومن هنا يتضح لنا أن دلالة الألفاظ بأصواتها هي التي تساعدنا على معرفة المعنى من خلال نظم الكلمات وتركيبها .

ونتواصل مع جهود علماء الفصاحة والبلاغة في إرساء الأسس الرصينة للدلال والمدلول وعلاقته باللفظ والصوت ، أما القول بدلالة الألفاظ على الألفاظ أو هو من الألفاظ نفسها فلا توافق السديد من التنظير ، إلا من حيث جرس الألفاظ . وقد بحث عبد القاهر الجرجاني في هذا كثيراً في كتابيه ؛ الدلائل والأسرار ، إذ يقول : " وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك المعنى فيه وكونه من أسبابه ودواعيه ، فلا يكاد يعد نمطاً واحداً ، وهو أن تكون اللفظة فيما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم " (٣) .

١- ينظر : د. ماهر هلال ، فخر الدين الرازي بلاغياً ، ١١٠ .

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٢٣٤ .

٣- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ٦ .

ولا غرابة أن يربط عبد القاهر بين دلالة الألفاظ بأصواتها ، والبيئة النفسية . وقد لمح الجرجاني هذا المعنى فقال : " فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً في النفس ، وجب في اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق " (١) ذلك لأن اللفظ تبع للمعنى في النظم ، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس ، وأنها أو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء حروف .

ونظراً لأن الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس أصواتها ، فينشأ ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات والدلالات ، فتكون عملية التحول بالصوت إلى دال بالقدر ذاته عملية يقصد الشاعر منها أن يشحن الكلمة بالتوتر الذاتي حسب المقتضيات والمقامات ، بحيث يجعل من الصوت صدى للمعنى . " وقد تؤدي شدة التأثير بالباعث الصوتي على توليد الكلمات إلى ما يكاد يكون اعتقاداً غامضاً في وجود مطابقة بين الصوت والمعنى " (٢) .

وهذا ما نكره قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) حين عرضت له مشكلة اللفظ والمعنى في نظريته النقدية فأعوزته حيلة التعبير عن مستوى الدال بتميزه عن مستوى المدلول ، فقد لجأ إلى تحديد خاصية الكلام باعتباره " حروفاً خارجة بالصوت متوطناً عليها " (٣) . وهذا ما تؤكد عليه الدلالة الصوتية في الانسجام بين دلالة اللفظ والمعنى .

ولم يختلف المتأخرون من علماء البلاغة عن المتقدمين في جهودهم عما نكره سلفهم في تحديد مفهوم الألفاظ ودلالاتها الصوتية ، وتأثير هذه الكلمات على المعنى . فالسكاكي (ت ٦٢٦هـ) يقول : " وإذا عرفت أن دلالة الكلمة على

١- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٥٢ .

٢- توفيق الزبيدي ، أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث ، ٦١ .

٣- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ٢٠ .

والدلالة الألفاظ في التفخيم البلاغي

المعنى موقوفة على الوضع ، وأن الوضع تعيين الكلمة بإزاء معنى بنفسها ، وأن دلالة معنى على معنى غير ممتعة ، عرفت صحة أن تستعمل الكلمة مطلوباً بها نفسها تارة معناها الذي هو موضوعه له ، ومطلوباً بها الأخرى ؛ أي معنى معناها " (١) .

وهذه الدلالة اللفظية نجدها عند بلاغي عاصر السكاكي ولا يقل شأناً عنه في آرائه البلاغية هو ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) وقد أخذ بهذا المبدأ في اختيار اللفظ ، فاستجاد اللفظ المزيد إذا كان المعنى يقنضيه ، وعدّه أدق في الدلالة على المعنى الكثير من اللفظ المجرد . يقول : " ومما يجري هذا المجرى قولنا : (فعل) و (افتعل) ، فإن لفظه (فعل) لها موضع تستعمل فيه ، ألا ترى أنك تقول : اقتعدت غارب الجمل ، ولا تقول : قعدت على غارب الجمل ، وإن جاز ذلك لكن الأول أحسن ، وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم ، فإنه لا يمكن أن يقام عليه دليل " (٢) .

وفي دلالة الألفاظ على معانيها مسبوكه يشير ابن الأثير إلى موقع اللفظ من النظم والى أهمية النظم في تقويم دلالة اللفظ فيقول : " بل أريد أن تكون الألفاظ مسبوكه سبكاً غريباً ، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس ، وهي مما في أيدي الناس " (٣) .

ثم يحكم ابن الأثير على الدلالة اللفظية للكلمة من خلال تأليفها وتركيبها ، فيقول : " والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ... فإن كل عارف بأسرار الكلام فن أي لغة كانت يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ حسنة

١- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٣٥٨ .

٢- ابن الأثير ، المثل السائر ، ١٩١/١ .

٣- السابق ، ١٢٢/١ .

رائقة يلذها السمع ، ولا ينبو عنها الطبع ، خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع " (١) .

وهذا حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) ، نجده يؤكد الحقائق الدلالية السابقة لعصره ، وهي عنده من المسلمات ، حتى أنه ليقارن بين دلالة المعاني والألفاظ ، ويعبر عنها بصورة ذهنية ، وهو إنما يحقق ذلك من أجل أن يتفرغ لإتمام اللفظ بالمعنى ، وإتمام المعنى باللفظ . يقول : " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود خارج الذهن ، وأنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك ، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في إفهام السامعين وأذهانهم " (٢) .

ثم يقول مستوفياً حديثه في هذا الإطار : " يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصورة الذهنية في نفسه ، ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه من النفس من جهة هيأته ودلالته ، ومن جهة ما تكون عليه الصور الذهنية في أنفسها ، ومن جهة موقعها من النفوس ، ومن جهة هيأتها ودلالاتها " (٣) . وهذا يعني أن اللفظ المشارك مشاركة فعالة في تكوين النص الأدبي ، مشارك في دلالة الألفاظ وما تكسبه من ميزة صوتية في صلتها بالنفس الإنسانية التي تنهياً لأصوات لتلك الألفاظ بدلالاتها على الصور للذهنية ، أو في دلالتها الذاتية في معرفة المعنى من خلال معرفة مصادر الأصوات أثناء سماعها .

١- ابن الأثير ، المعنى السطر ، ٣٧/١ .

٢- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ١٧ .

٣- السابق ، ١٨ .

كما توافرت طائفة من الألفاظ الدقيقة عند إطلاقها ، وتتميز هذه الدقة بكون اللفظ يدل على نفس الصوت ، والصوت يتجلى فيه ذات اللفظ ، بحيث يستخرج الصوت من الكلمة ، وتؤخذ الكلمة منه ، وهذا من باب مصاقبة الألفاظ للمعاني بما يشكل أصواتها فتكون أصوات الحروف على سمت الأحداث التي يراد التعبير عنها .

يقول ابن جني (٣٩٢هـ) : " فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج ملتتب عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث ... ومن ذلك قولهم : خضم وقضم ، فالخضم لأكل الرطب ، والقضم لآكل اليابس " (١) .

وعلى الرغم من توقف جملة من علمائنا الأوائل عن الخوض في حديث المدلولات في القرآن الكريم ، فإن القرآن يبقى ذا دلالة أصلية ، وما معاملتهم له إلا دليل تورّع وتحرّج عن الفتوى بغير مراد الدلالة حتى وإن أدركوها إجمالاً . وإذا كانت عنايتهم بالدراسة الصوتية قرينة بقضايا الإعجاز القرآني حيث ذهب فريق إلى أن القرآن الكريم معجز بالمعاني ، وذهب فريق آخر إلى أنه معجز بالألفاظ ، ومن ثم شرعوا في التنقيب عن أسباب الجودة والتلاؤم أو التأخر والتتافر ، وإذا كانت تلك هي البدايات ، فسرعان ما امتد البحث إلى عالم الشعر وإلى عالم اللغة ، وصار الوعاء اللغوي هو الميدان .

لقد استشف البلاغيون أهمية العلاقة التي تربط اللفظ بدلالته الصوتية ، وما زال البحث عن ذات العلاقة هو حجر الزاوية (٢)

١- ابن جني ، الخصائص ، ٦٥/١ .

٢- ينظر : د. مصطفى مندور ، اللغة بين العقل والمغامرة ، ٥٥ .

وما قال به النحاة من الزيادة ، فإن عبد القاهر الجرجاني يتلقفه ليحيله إلى تحليلات إبداعية ، فلا يتصور أن تسلب الكلمة دلالتها ، وتقول بزيادتها ، ثم لا تعطيه دلالة أخرى ، وأن تخليها من أن يراد بها شيء على وجه من الوجوه لأن وصف اللفظ بالزيادة يفيد أن لا يراد بها معنى ، وأن يجعل كأن لم يكن لها دلالة قط . (١) وهنا يؤكد الجرجاني على أهمية دلالة الصوت من خلال اللفظ وما تؤديه من معنى .

وقد تكون العبارة دلالة على أمر مكروه خارج عما جيء بها الدلالة عليه إما باشتراك وقع في اللفظ ، أو بصرف واستعمال حدث فيه ولو للعامّة ، فيجب أن يتحفظ من ذلك حيث تنهياً تلك العبارة بنفسها وفي دلالة أصواتها (٢) . وهي طائفة من الألفاظ اتحدت بنيتها وأصواتها ، ودلت على معنيين مختلفين أو أكثر . ومن الأمثلة على ذلك لفظ (العين) فهو يتصرف إلى معان عدة من بينها ؛ عين الإنسان ، وعين البئر ، وعين القوم (سيدهم) ، والعين الجاسوس .

وقد درس اللغويون القدماء هذه الظاهرة في باب ما اتفق لفظه واختلف معناه . وأنكر ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) ظاهرة المشترك اللفظي فقال : " فإذا اتفق البناءان في الكلمة والحرف ، ثم جاء المعنيين مختلفين لم يكن بد من رجوعها إلى معنى واحد يشتركان فيه فيصيران متفقي اللفظ والمعنى " (٣) .

وقد وجد المحدثون أن كل لغة تسير في تطورها الدلالي على هذي خطوط عامة أطلقوا عليها قوانين المعنى ، وتناول المحدثون هذه الظاهرة بالبحث في جملة مصادر منها : دلالة الألفاظ ، وفقه اللغة وخصائص العربية ، ودلالة

١- ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ٣٦٢ .

٢- ينظر : حازم القرطاجني ، منهاج البلاغة ، ١٥٠ .

٣- ابن درستويه ، تصحيح الفصح ، ٢٤٠/١ . وينظر : د. مصطفى مندور ، اللغة بين العقل والمغامرة ، ١٥١ .

الألفاظ العربية وتطورها . وهذه الدراسات كلها تعتمد على دلالة الصوت من خلال الألفاظ .

إن كل الجهود التي بذلت تستهدف الوصول إلى الإدراك ، وكشف الدلالات هو غاية العناية باللغة ، وليس شرطاً أن نقبل ما قال به السابقون من أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، لأنها أبعد من ذلك ، فهي تستوعب الممكن الاجتماعي وتتجاوزه .

ولقد نشطت مناهج مختلفة تدرس الدلالة والإمساك ببعض قوانينها^(١). وقد اطردهم الإلحاح على سمة العرضية في حصول الألفاظ دوال على المعاني ، ولذلك تسنى الجزم بطواعية الألفاظ في عبور المجالات الدلالية واحد بعد آخر وبطواعية المدلولات في ارتداء الألفاظ بعضها مكان بعض ، كما تسنى البتّ بحكم علاقة الإنسان باللغة ، وموقفه الفاعل منها في أمر استحداث المركبات الدلالية أصلاً بابتكار المدلول الذي كان منعماً ، ثم صناعة دال له فيلتحمان فيكون منهما ومن التحامها مثلث دلالي جديد . ويتبين لنا أن التحول الدلالي إنما هو تقدير نسبي بسلطة المتكلم على اللغة وعلى سامعه ، فيدرك السامع أنه فعلاً تسلط من المتكلم على جهاز اللغة ،^(٢) التي هي ألفاظ وأصوات ومعان ، وبمدلولاتها تدلنا على المعنى المراد معرفته من خلال تشخيص دلالة الصوت .

وقوله تعالى في سورة (ص) الآية رقم (٢٤) : ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ ، نلمح أن هذا اللفظ (خرّ) جاء بصيغة واحدة في عدة استعمالات ، وهذا الصوت هو الخريز ، وهو صوت الماء ، أو صوت الريح ، أو صوتهما

١- ينظر : د. مصطفى مندور ، اللغة بين العقل والمغامرة ، ٣٠٠ . د. محمد حسين الصغير

، التطور الدلالي عند العرب ، ٢٦ . د. إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ٦٢ .

٢- ينظر : د. عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني عند العرب ، ١٨٥-١٨٦ .

معاً ، فالحدث على هذا مسئل من جنس الصوت ، ووجه الدلالة فيما يبدو أن الخرّ يأتي بمعنى السقوط من شاهق ، وأن الخرير إنما يستعمل لصوت الماء أو الريح أو الصدى محاكياً لهذا اللفظ في ترديده ، فلم يرد لمجرد السقوط من (خر)^(١) ، وإنما أراد الصوت مضافاً إليه الوقوع والوجبة في إحداث هذا الصوت . وكانت هذه الإضافة الدلالية صوتية سواء أكانت في صوت الماء ، أم بالوقوع والسقوط ^(٢) .

كما أنّ التفكير اللغوي عند العرب انطلق من النظر في صحة متن القرآن الكريم ، وتفهم أحكامه ، ودراسة علل إعرابه . وأقوى دليل على ذلك أنّ جل النحاة العرب الأوائل كانوا من القراء ، وأنّ هؤلاء قد مهدوا السبيل لظهور علم الأصوات بفضل ما أثاروه من مشكلات في النطق بأي القرآن الكريم نتيجة لاختلاف اللهجات العربية ^(٣) .

وحدة النغم الصارم :

ولنأخذ مثلاً على ذلك أصوات الصفير في وضوحها ، وأصداؤها في أزيزها ، جعل لها وقعاً متميزاً ما بين الأصوات الصوامت ، وكان ذلك فيما يبدو نتيجة للتصاقها في مخرج الصوت ، واصطكاكها في جهاز السمع ، ووقعها الحاصل ما بين هذا الالتصاق ، وذلك الاصطكاك . وهذه الأصوات ذات الجرس للصارخ هي : (الزاي) ، (السين) ، (الصاد) ، ويلحظ لدى استعراضها أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة من خلال دلالتها الصوتية ، وهي بذلك تعبر عن الشدة حيناً ، وعن العناية بالأمر حيناً آخر ، مما

١- ينظر : لراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ١٤٤ .

٢- ينظر : د. محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، ١٨٥-١٨٦ .

٣- ينظر : د. محمد صالح ، الثورة التكنولوجية واللغة ، ٨ .

يشكل نغماً صارماً في الصوت ، وأزيراً مشدداً لدى السميع ، يخلصان إلى دلالة اللفظ .

وسنقف عند ثلاث صيغ قرآنية خُتِمَتْ بحروف الصفير ، لرصد دلالتها الصوتية ، هي : (رجز) و (رجس) و (حصص) . فالرجز موظف في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾^(٢) . ونحن حينما نقارن لفظة (الرجز) بمثلتها معنى ومبنى (رجس) وهي مكونة كتكوينها في الراء والجيم ، والسين كالزاي من حروف الصفير شديدة الاحتكاك في مخرج الصوت ، ولها ذات الإيقاع على الأذن ، حينما نقارنهما صوتياً ودلالياً نجد المقاطع واحدة عند الانطلاق من أجهزة الصوت ، ونجد المعاني متقاربة في الإفادة ، فقد قيل للصوت الشديد رجس ورجز . فالصوت في المعاني كلها الصوت نفسه ، والصدى ذات الصدى . ومن هنا أورد الراغب الأصفهاني أن الرجس يقع على أربعة أوجه : إما من حيث الطبع ، وإما من حيث العقل ، وإما من جهة الشرع ، وإما من كل ذلك^(٣) ومن خلال المعاني تأتي دلالة الصوت لتوكيد المعنى .

وهناك مقاطع صوتية مغرقة في الطول والمد والتشديد ، وعلى الرغم من ندرة صيغة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعد بالأصابع ، فإننا نجد القرآن الكريم يستعمل أفخمها لفظاً وأعظمها وقعاً ، فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدتها . ومن تلك الألفاظ الصوتية الموحية بدلالاتها ، الحاقة ، والطامة ، والصاخة ، وهذه الكلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي ، والأداء الجهوري لسماع رنتها ، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في

١- سورة سبأ : الآية رقم (٥) .

٢- سورة الأعراف : الآية رقم (١٦٢) .

٣- ينظر : للراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ١٨٨ .

دلالات الألفاظ في التفسير البلاغي

جلجلة الصوت وشدة الإيقاع ، وبمصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي . نلمس ذلك في قوله تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(١) قال الفراء (ت ٢٠٧هـ) : " الحاققة : القيامة ، سميت بذلك لأنها فيها الثواب والجزاء" ^(٢) . وهذه الدلالة الصوتية التي تشير لكل من يسمعها إلى يوم القيامة .

إن موافقة أصوات الحاققة والصاخة والطامة لمعانيها في الدلالة على يوم القيامة ، من أعظم الدلالات الصوتية في الشدة والوقع والتلاؤم البنيوي والمعنوي لمثل هذه الصيغ الحاقلة .

وحيثما نقف عند توظيف حرف (الصاد) في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْأَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾^(٣) فإننا نستمتع إلى دلالة الصوت المدوي ، إذ كانت الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي بين حرفين هما : (الحاء ، والصاد) تكراراً في البناء الصوتي مرتين ، فكوننا لفظة (حصحص) واضحة الظهور بانكشاف الأمر . وهنا قد يمتلك العجب لدى اختيار هذا اللفظ في أزيه ، ووضوح أمره وظهور دلالاته .

فإذا شددت (الصاد) كانت دلالاتها الصوتية ، وإرادتها المعنوية أوضح لزوماً ، وأشد استظهاراً ، وأكثر إمعاناً كما في قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّوْرِ﴾^(٤) فالصوت في صيغة الإرعاب وفي سياق للوعيد بدلالاته التخيلية ، قد نلمس فيه نزع ما في القلوب من أسرار ، أو استخراج ما فيها من خفايا .

- ١- سورة الحاققة : الآيات من (١ - ٣) .
- ٢- الفراء ، معاني القرآن ، ١٧٩/٣ .
- ٣- سورة يوسف : الآية رقم (٥١) .
- ٤- سورة العاديات : الآيتان رقم (٩ ، ١٠) .

ومن مثل ذلك قوله تعالى : ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ أُخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (١) ، فصيغة (مقتدر) هنا أقوى دلاليًا وتوظيفيًا من صيغة (قادر) ، وإنما عدل إليه للدلالة على التضخيم للأمر ، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب ، أو للدلالة الصوتية على بسطة القدرة ، وذلك أن (مقتدر) اسم فاعل من (أقْتَدِر) وقادر اسم فاعل من (قَدِر) ، ولاشك أن (افتعل) أبلغ من (فعل) (٢) .

فالدلالة بين الصوت والمعنى ، لرسم صورتيه هي بمثابة الموسيقى التصويرية المصاحبة للمشهد ، هذا فيما يلائم التركيب البنائي والدلالة البلاغية ، بينما نجد قسماً آخر من البلغاء قد ربطوا كل ذلك من وجهة أخرى بما يلائم حواس الإنسان ، لا سيما حاسة السمع في تشويقها للصوت الخفيف الساكن ، وتقل الجهير الهائل عليها وقعاً ، لأنها تتقبل ما يتصل بها مما طبعت عليه إذا كان وروده باعتدال لا جهور فيه من خلال شعورنا بدلالته الصوتية (٣) .

ومن الصيغ العربية التي تدل على الحدث الصوتي صيغتا (فعال) و(فَعَلَّلَة) ، فصيغة (فَعَال) تستعمل في جزء كبير منها للدلالة على الأصوات والضوضاء مثل (صراخ) . وصيغة (فَعَلَّلَة) تستعمل في العربية في جزء كبير منها للدلالة على حكايات الأصوات مثل : (الغرغرة) لأن صوتها من جنس تشكيل حروفها لفظياً ، كما أن معناها صدى من أصداء صوتها (٤) . هذا نفسه هو ما ينجم عن التوليد الصوتي للألفاظ عند الأوربيين ، كما في كلمة (قهقهة) والأصوات فيها دليل من دلائل المعنى ، وإذا أضفنا إلى (قهقهة) (تمايل) فإننا

١- سورة القمر : آية رقم (٤٢) .

٢- ينظر : ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/٢٧٩ . د. محمد الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، ١٨١ .

٣- ينظر : ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ١٤ .

٤- ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ١٦٢ ، ١٦٣ . ابن فارس ، الصحابي ، ١٠٠ .

سنجد في الكلمة الأولى تقليد صوت لصوت آخر ، وفي الثانية ترجمت الحركة ترجمة بيانية بوسائل صوتية .

والمصطلح الذي يغلب إطلاقه في حالة الكلمات التي من هذا النوع هو (محاكاة الأصوات onimatopid) ^(١) ونجد في القرآن الكريم دلالات صوتية قوية بمدلولها اللغوي مثل قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ ^(٢) مما يوحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته ، والاضطراب قد تجاوز مداه ، والصوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض ، فالصراخ في شدة إطباقه ، وتراصف إيقاعه ، من توالي الصاد والطاء وتقاطر الراء والخاء ، والترنيم بالواو والنون يمثل لك رنة هذا الاضطراب المدوي . والاضطراب الصياح والنداء ، والاستغاثة بافتعال من الصراخ ، قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها ، وإنما نعمل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والإطباق ، ويوافق التاء في المخرج ^(٣) .

ومن ذلك ما نجده أيضاً في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أُنذِرُكَ مَا لِلطَّارِقِ﴾ ^(٤) الطارق الصوت الذي يطرق ليلاً ، وهو في القرآن الكريم دلالة على النجم الثاقب الذي يتقب الظلام بضوئه .

وهناك طائفة كبيرة من الأصوات اللغوية تعتمد في مخارجها على حركات غير مرئية تؤذيها أعضاء غير ظاهرة مثل ؛ حركات الجوف والخلق والحنك واللسان . فقد برهنت التجارب الحديثة على أن الإنسان حين ينطق لغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات ، ومن اللغات ما يجعل

١- ينظر : ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ٧٣ - ٧٤ .

٢- سورة فاطر : الآية رقم (٣٧) .

٣- ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٤/٤١٠ .

٤- سورة الطارق : الآيتان رقم (٢ ، ١) .

واللهات (الألفاظ في التفخيم البلاغي)

لاختلاف درجة الصوت أهمية كبيرة إذ تختلف فيها معاني الكلمات لاختلاف درجة الصوت والنطق بها (١) .

ولا يسلم للفظه مدلولها الصوتي دائماً ، فهي لا تحدد بالتعاريف التجريبية التي تحددها به المعجمات ، إذ يحيط المعنى المنطقي لكل كلمة جو عاطفي ينفذ فيها ، ويعطيها ألواناً مؤقتة على حسب استعمالها ، وهذه المعاني هي التي تكون قيمتها التعبيرية . فقيمة اللفظة عندما ينقطع مدلولها يعينها السياق ، وذلك لأن المعنى والصوت كلاهما مرتبط بمدلول الآخر .

وهناك أمثلة كثيرة في القرآن الكريم على ثراء الدلالة الصوتية للفظه منها قوله تعالى : «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى» (٢) فالملحظ في هذه الآية أن دلالة صوت (الطاء) فرض حضوراً حاشداً يعبر عن المعنى ، حيث القيامة بأهوالها . وقد جاءت (الطاء) مشددة لتكون أقوى في التخويف ، وأشد في الترهيب . ومما زاد من رسوخ المعنى وجود صوت المد ليوحى بأن الطامة " غطت كل موجود على الكون ؛ من سماء مرفوعة ، وأرض مبسوطة ، فهي تأتي على ذلك كله ، وهي تضم على كل هائلة " (٣) .

يتضح من هذا أن للدلالة الصوتية للحروف فاعلية عالية ، إذ تخضع في بعض الأحيان لانطباعات مبعثها الأصوات ، ويشكل الصوت في النسق اللغوي منطلقاً للوعي والتأثير ، فقد يكون هناك صوت بعينه أو مجموعة من الأصوات يكون لها مغزى أو تبعث شعوراً معبراً ، وعندنا يفوق دلالته جرس الصوت على منطق اللغة ، فيخرج عن كونه صوتاً محضاً إلى دلالة تحرك المعنى وتقويه .

١- ينظر : د. فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، ١٢/١ .

٢- سورة النازعات : الآية رقم (٣٤) .

٣- الزمخشري ، الكشاف ، ٦٩٧/٤ .

وخلص الأمر أن الحرف بدلالته الصوتية يشير إلى المعنى ، أو يحاول أن يوحي به ، بحيث يمكننا القول : إن أصوات اللغة العربية تدلّ دلالة قوية وأكيدة على المعنى ، وعندها تثير في النفس جواً لقبول المعنى أو الإيحاء به ، لأنّ الدلالة الصوتية تلعب دوراً مهماً في توجيه معنى الكلمة ، ومشاركته الفاعلة في الدلالة . بيد أن هناك بين الأصوات فروقاً في القدرة التعبيرية ، وهذا هو سر الكلمات التي تعبر بأصواتها على معناها ، فتكون لأصوات الكلمات قوة في التعبير عن مدلولاتها (١) .

إن الجرس الموسيقي للفظه يلعب دوراً خاصاً يثير انتباه المشاعر الداخلية للمتلقى ، والنغم من أخص خصائص اللفظة بوصفها صوتاً يرمز إلى المعنى . ومن نافذة القول أن علماء الدلالة القدماء والمحدثين قد أفردوا للدلالة الصوتية وموسيقى اللفظة وأثرها في النص الأدبي حيزاً واسعاً على صفحات بحوثهم ، ولا غرو في تخير الأديب للنغم الوداع والوقع الحالم الذي تحدثه أصوات اللفظة ، مما يطرب الأذن ويلتذّه السمع .

والجيمود التي بذلها العلماء العرب في الدلالة الصوتية في البحث اللغوي قديمة راسخة أطرها ابن جني بقوله : " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات " (٢) .

ولعل ما ذهب إليه ابن جني في الخصائص ، قد هيا لأبن الأثير الأساس الذي لُقام عليه للمفاضلة بين الألفاظ باعتبارها داخلة في حيز الأصوات ، ووضع لها مقاييسات الحسن والقبح من خلال ما يستحب ويستقبح من الأصوات . ولكن الذي يثير الانتباه بخصوص الدلالة الصوتية انعدام الدلالة الطبيعية بين

١- د. محمد الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، ٢٣٨ .

٢- ابن جني ، الخصائص ، ٤٦/١ ، ٤٧ . وينظر : ابن سينا ، أسباب حدوث الحروف ، ٢٤ .

اللفظ ومعناه في كثير من الألفاظ ، ولم نلاحظ أحداً من علمائنا قد نبه إلى ذلك ما عدا الإشارة التي ذكرها ابن جني بقوله : " نعم ؛ قد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفي علينا لبعدها في الزمان عنا ، ألا ترى أن قول سيبويه : أو لعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ، يعني أن يكون الأول الحاضر شاهد الحال ، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية ، والأخذ - لبعده عن الحال - لم يعرف السبب التسمية ، ألا ترى أن قولهم للإسنان إذا رفع صوته : قد رفع عقيرته ، فلو ذهب تشتق هذا بأن تجمع بين معنى الصوت ، وبين معنى (عقر) لبعد عنك وتعسفت " (١) .

وتقر الدراسات الحديثة ما ذهب إليه ابن جني ، فقد ذكر (هورتيك) أن هناك مئات الأمثلة التي نستقيها من أحداث الشعر ، كلها تنهض دليلاً على أن الكلمة الملفوظة لم تقطع صلتها بأصلها ، بل استبقت حقيقتها الصوتية ، على أن قيمتها التعبيرية تمت وترعرعت خارج المجال الصوتي ، فأصبحت وسيلة من وسائل الشرح والتعليل (٢) . ويتضح لنا عمق الدلالة الصوتية ومحاولة تأصيلها منذ القدم .

١- ابن جني ، الخصائص ، ١ ، ٦٦ .

٢- لويس هورتيك ، الفن والأدب ، ١٣ .

المبحث الثالث : الدلالة النفسية :

العين ترتاح للمرأى الحسن ، وتتأذى بالمنظر القبيح ، والأذن تطرب للأصوات العذبة حتى يصير فعلها في النفس عجبياً ، وتتفر من الخشن اليابس ، وصار مما يعاب به الشعر وتستهجنه البلاغة خشونة حروف الكلمة ، وسمى قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ذلك الفعل الجمالي (سماحة اللفظ) ، وعرف السماحة اللفظية بأن " يكون سهل مخارج الحروف من مواضعها " (١) .

كما تنبه الجاحظ من قبل إلى الدلالة النفسية ، وأثر خفة الألفاظ في شيوعها على ألسنة الناس ، وإن كان غيرها أحق منها ، واستشهد لذلك بتفضيلهم لفظ (الجوع) على (السغب) و (المطر) على (الغيث) إذ أدركوا أن خفة اللفظ وجمال جرسه يسرع به إلى الأذن لتستلذ به قبل أن تفقه (القلوب) معناه . وهذه هي بلاغة الكلام ودلالته النفسية ، الذي لا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه (٢) .

ومما جاء في القرآن الكريم من توظيف الدلالات النفسية لمادة (نزع) ما نجده في قوله تعالى : ﴿ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ نَّشَاءُ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُُورِهِمْ مِنْ غَلٍ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلِ مُنْقَعِرٍ ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ (٦) فجاءت الدلالة النفسية لانساق صوت (النون) مع صوت (العين) ، ولعبت دوراً بالغاً ومؤثراً في تجسيم الحدث

١- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ٢١ .

٢- ينظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٩٥/١ .

٣- سورة آل عمران : الآية رقم (٢٦) .

٤- سورة الأعراف : الآية رقم (٤٣) .

٥- سورة القمر : الآية رقم (٢٠) .

٦- سورة النازعات : الآية رقم (١) .

، فوجود (العين) التي تدل على الأحداث القوية وصوت (النون) التي تضفي على الفعل دلالة قوية وعظمة ووقاراً ، فالنزع هنا : نزع الشيء وجذبه من مقره بهدوء ، وفي أحيان أخرى يكون النزع بقوة^(١) .

والملاحظ من الآيات السابقة أن لصوت النون مزية نفسية صوتية ظاهرة في الغنة ، والتمكن في التطريب ، وذلك لتناسب قداسة القرآن ، وقوة تأثيره وعمقه ، وعظمته في النفوس . والملاحظ أيضاً أن الدلالة النفسية بين انتشار صوت (النون) في حشو الآيات والفواصل بالنون الساكنة التي يعلو معها الرنين ويبرز ، وبطول زمنه مما هو بالحشو^(٢) ، وكأنها تبعث بأصواتها جواً من الوقار والجلال يناسب الإيقاع الصوتي الذي عليه . فالدلالة النفسية ملازمة لانطلاق الصوت وتأثيره النفسي لدى المتلقي ، سواء أكان الصوت مؤثراً أو غير مؤثر .

وفي تعريف الرماني للبيان أنه إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك ، وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة . كما أنه الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله ، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل^(٣) .

كما أن الألفاظ التي يستخدمها أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في وصف الكلام والألفاظ هي ألفظ حسية ، لعبت فيها الحواس دوراً ملموساً ، مثلما نجد في الأوصاف الآتية : (العذبة ، والجزلة ، والسهولة ، والرصانة ، والسلاسة ، والصناعة ، والرونق الطلاوة)^(٤) .

١- ينظر : الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ٤٨٥ .

٢- ينظر : د. محمد الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن ، ٩٢ .

٣- ينظر : الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ١٠٦ .

٤- ينظر : العسكري ، كتاب الصناعتين ، ٤١ .

كذلك من الألفاظ التي يستخدمها ابن الأثير؛ (حلو، وحادة طنانة، ورنانة، وغمّة باردة) (١).

ومن دلالة الصفات الفطرية للنفس الإنسانية المحاكاة "إذ النفوس قد جبلت على التنبه لأنحاء المحاكاة واستعمالها والالتذاذ بها منذ الصبا" (٢).

ولهذا أوجب البلاغيون على الكاتب أو الشاعر أن يراعي الجوانب النفسية مراعاة تامة، فلا يكون كلامه بليغاً ومؤثراً في النفوس ما لم يكن كذلك، وهذا ما ينسجم مع الواقع النفسي، إذ من الطبيعي أن يراعي في الكلام نفسية المخاطب ومستوى إدراكه، وظروف الخطاب، حتى يستطيع الكلام أن يؤدي دوره المطلوب في التأثير وإثارة الانفعال اللازم. ومن هنا أكدوا على أن الألفاظ لكي تكون قادرة على التأثير في السامع يجب أن تكون ملائمة منسجمة مع المعنى المراد نقله. وقد بلغ من إحساسهم بهذه الظاهرة أن اعتبروا من أهم صفات البليغ أن تكون: "الألفاظ قوالب لمعانيه" (٣)، لأن ذلك من العوامل التي تزيد من القيمة الجمالية والفنية للفظ، ومن قدرتها على التأثير في نفس المتلقي من حيث إحداث التخيل المناسب الذي يتماشى وتنغيم إيقاع صيغتها.

يقول حازم القرطاجني (٦٨٤هـ): "يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصورة الذهنية في نفسه، ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه من النفس من جهة هيأته ودلالاته، ومن جهة ما تكون عليه الصور الذهنية في أنفسها، ومن جهة مواقعها من النفوس من جهة هيأتها ودلالاتها... ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي

١- ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ١/١١٦.

٢- حازم القرطاجني، منهاج البلاغة، ١١٦.

٣- ابن رشيق، العمدة، ١٧٣/١. وينظر: مجيد ناجي، الأسس النفسية للبلاغة العربية، ٧٦.

تكون تلك المعاني الذهنية صوراً لها وأمثلة دالة عليها ، ومن جهة مواقع تلك الأشياء في النفوس " (١) .

وهذا يعني أن اللفظ مشارك مشاركة فعالة في تكوين النص الأدبي بدلالته على الصور الذهنية ، حيث ينقل اللفظ تلك الصور من جانبين مهمين ؛ في دلالتها الذاتية ، وفي صلتها بالنفس الإنسانية . " وعلى هذا الأساس تدرس الألفاظ التي هي أصوات دالة على معانٍ معينة ، باعتبارها أبنية لغوية مستقلة من ناحية ، وبوصفها ترجمة لفظية لصور ذهنية من ناحية أخرى " (٢) .

فالألفاظ إذن بصيغتها الانفرادية تنقل الصورة الذهنية للشيء من خارجه وبضمها إلى غيرها يتشكل النص الأدبي ، وتطبيقها في الدلالة تمثل حديث النفس في الرفض أو الاستجابة بحسب التأثير بموقعها في الأعماق .

ولهذا نجد ابن سينا (ت ٤٢٧هـ) ينظر إلى هذا المعنى بتقسيمه لطبيعة اللفظ في دلالاته على الرضا والغضب في إرادة الانفعال بأحدهما ، والاستفادة ترغيباً أو ترهيداً بهما فيقول : " وقد ينتفع بالألفاظ الانفعالية والخلقية انتفاعاً شديداً ، وذلك حين يراد أن يثار انفعال فتكون الألفاظ المثيرة للآفة الفاضحة ، صالحة لإثارة الغضب ، وأما الألفاظ المستقيمة للفواحش والآثام ، فإنما ينتفع بها حين يزهد في القبائح " (٣) . ومعنى هذا أن اللفظ أداة نفسية يمكن تسخيرها بحسب الإرادة لإثارة التعبير الداخلي الخاص بالإنسان ، بتعبير خارجي خاص بالألفاظ ودلالاتها النفسية .

وذهب البلاغيون في تفسير ميل العرب إلى الإيقاع القولبي المتوازن ، لأن الدلالة النفسية بطبيعتها تميل إليه ، وأنه يقع منها موقع الاستحسان والتشوق إليه

١- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ١٧ .

٢- د. جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ٧٠ .

٣- ابن سينا، الخطبة من كتاب الشفاء ، ٢١٩ .

، يقول ابن الأثير (٦٣٧هـ) : " وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت في النفس موقع الاستحسان " (١) .

وجهود العلماء العرب معروفة منذ وقت مبكر في معرفة الحالة النفسية ومعالجتها بما يناسبها من أدوات موسيقية تخفف بعض الحالات التي تواجه بعض الأشخاص . فقد درس الكندي (ت ٢٥٦هـ) الصلة بين الموسيقى وأنغامها وبين تحريك النفس وما يناسب أحوالها ، ولهذا قال : " هناك موسيقى تبعث السرور ، وثانية تحرك المرح والطرب ، وثالثة تحرك الحنين والمحبة ، وفي مقدورنا نعالج بعض الأمراض النفسية بنغمات الموسيقى المناسبة التي تهيجه وتهدئه " (٢) .

ويبدو أن الكندي كان من أوائل فلاسفة العرب الذين عالجوا بعض مرضاهم بالموسيقى ، إذ كانت براعته في اختيار العلاج بالموسيقى المناسبة لبعض الأمراض .

كذلك كان أبو بكر الرازي (ت ٣١١هـ) من المشتغلين بالموسيقى مع اشتغاله بالطب والدواء . ومما ينقل عنه في بيان الأثر النفسي ما ملخصه : كان أقرب أصدقاء الرازي صيدلاني يعمل في مستشفى المدينة ، وكانا يتبادلان الزيارات للعزف والغناء معاً ، وكانت زيارة الرازي لصديقه في مستشفاه ، وكانت الزيارة تنتهي عادة بالعزف والغناء ، مما كان يغري بعض المرضى بسماع للموسيقى والغناء . ولاحظ الرازي أن بعض المرضى ينسون آلامهم للمبرحة ، إذ كانت الألحان والأنغام الجميلة تشدهم وتسيهم الآلام الشديدة

١- ابن الأثير ، المثل السائر ، ٣٧٨/١ . وينظر : ابن رشيق ، العمدة ، ٢٧٤/١ .

٢- الكندي ، رسالة في الموسيقى ، ٦٧ .

ولالات الألفاظ في التنكير البلاغي

الدائمة ، وأخذ الرازي يدرس هذا الموضوع ، وانتهى به الأمر إلى أن الموسيقى تصلح لبعض الأمراض ولا تصلح لأمراض أخرى (١) .

وبما أن للدلالة النفسية الأثر الكبير في سلوك الإنسان فقد أشار عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن النظم إلى ذلك بقوله: " إن هذا النظم الذي تتواصفه البلغاء ، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله ، صنعة يستعان عليها بالفكرة ... فلو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها لكن ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم يحسن النظم ، أو غير الحسن فيه ، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً " (٢) .

ومن مثل ذلك ما وظفه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿لَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزْأًا﴾ (٣) ففي الآية الكريمة دلالة نفسية بينة للفظ (تَوَزُّهُمْ) أي : تزعجهم ، فهذا في معنى تهزهم هذا . وصوت الهمزة أخت صوت الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين ، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز ، فقد ترى تصاقب اللفظتين لتصاقب المعنيين (٤) .

ومن ذلك توظيف اللفظ بدلالته النفسية كما في توظيف كلمة (الأصوات) دلالة على الخوف والخشية في قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (٥) ثم استعمالها في موضع آخر

١- ينظر : د. مجيد ناجي ، الأسس النفسية للبلاغة العربية ، ١٦٣ .

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٤٠ .

٣- سورة مريم : الآية رقم (٨٣) .

٤- ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ١٤٦/٢ .

٥- سورة طه : الآية رقم (١٠٨) .

لغرض الاحترام والتسجيل في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(١) فقد نبّهت هذه الآية الكريمة بدلالاتها النفسية المسلمين ، أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حتى أن الصحابة بعد أن سمعوا كانوا يتهايمون في حضرة النبي ، حتى أنه كان يسمعهم بصعوبة . وهذا متأني من الحالة النفسية التي يشعر بدلالاتها المسلمون بعد نزول هذه الآية وهي تخاطبهم بهذه الأصوات الموحية التي أخلتهم عند سماعها وما تركته من أثر نفسي عندهم .

والذي يهمنا من خلال ما تقدم من تحليل التأكيد على أن محاولة الربط بين حركة الصوت والحالة النفسية ، لإيجاد نقاط النقاء بين القيم التعبيرية ، وقيم التعبير النفسي الذي تضيفه الإيحاءات الداخلية على دلالة النص إنما هي محاولات بناءً وقيمة ، وهي محاولات تتطلع إلى الربط بين المعطيات الموسيقية لتوافق التشكيل الصوتي ودلالته النفسية ، والأخذ بزمام القوانين الجمالية التي هي غاية الأسلوب في تأثيرها على النفس البشرية بدلالة الألفاظ والكلمات في صورها الصوتية التي تتطلع مباشرة في ذهن السامع ، أو هو بعبارة أخرى الإدراك النفسي للكلمة الصوتية .

وأما المدلول فهو الفكرة التي تقترن بالدال بين اللغة والفكر ، فلا تقتصر دلالة للكلمة على مدلولها فقط ، وإنما تحتوي على كل المعاني التي قد تتخذها ضمن السياق اللغوي ، وذلك لأن الكلمات في الواقع لا تتضمن دلالة مطلقة ، بل تحقق دلالاتها في السياق الذي ترد فيه ، وترتبط دلالة الجملة بدلالة مفرداتها ، وذلك بوصف الألفاظ أصواتاً تتطلق بها الأوتار الصوتية من داخل الجهاز الصوتي ابتداءً من أقصى الحلق وانتهاءً بانطباق الشفتين ، لتتصل بالأسماع

١- سورة الحجرات : الآية رقم (٢) .

وتصل إلى الأذن . وهذا ينسحب أيضاً على الكائنات الحية فقد ورد في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧هـ) قوله : " قال أفلاطون: لا ينبغي أن تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضاً ، ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملاة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان فاستراحت لها أنفسهم ، وليس من أحد كائناً من كان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ، ويعجبه طنين رأسه ، ولو لم يكن من فضل الصوت ، وحتى أن البهائم لتحن إلى الصوت الحسن وتعرف فضله " (١) .

وهكذا يكون للصوت ميزة جمالية ترتاح لها النفس ، وتحن إليها القلوب ، بدلالاتها النفسية المعبرة عن مضمون الصور الذهنية .

١- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥/٦ .

المبحث الرابع : الدلالة الإيحائية

أكدت الدراسات الصوتية والبلاغية على الربط بين إيقاع اللفظ ومدلوله وصورة الإيحائية . أما البلاغيون فقد عبروا عن إحساسهم بالدلالة الإيحائية للجرس اللفظي ، بأن ربطوا بينها وبين شخوص حية ، فقد تخيلوا الصور الإيحائية التي يحدثها في نفوسهم إيقاع جرس اللفظة بما يناسب الطبيعة النغمية له من الأشخاص ، ما دامت الألفاظ تجري من مجرى الصور من البصر .

وقد ذهب ابن جني إلى أبعد من ذلك حينما يرى " أن الكلمات وإن اختلفت في أصولها من حيث كون بعضها ثلاثية والأخرى رباعية ، فإن مجرد اشتراكها في الحروف الثلاثية الأولى منها يؤدي إلى الاشتراك في الدلالة " (١) .

وكان ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) المعاصر لابن جني متأثراً به في معالجته للصلات بين الألفاظ من حيث جرسها المركب من أصوات حروفها وبين دلالاتها المعنوية الخاصة (٢) .

وتبرز ملامح الدلالة الإيحائية في استيعاب صيغ ألفاظ معينة وكلمات مؤثرة ، توحى في دلالاتها بأكثر من مدلولها الظاهري ، وتتطوي على جملة من المعاني الأخرى ، فهي المقياس الفني لتقدير قيمة اللفظ ، حيث تتأثر بهذه الإيحائية ونوعيتها قوة وضعفاً . فكلما كانت إيحائية الكلمة عالية ، كانت قيمة تلك الكلمة فنياً عالية أيضاً ، والعكس بالعكس . ففي قوله تعالى : ﴿ وَتَنبِئُكُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٣) فيها من الدلالة الإيحائية ما يشير إلى الانتقال بمشاعر الإنسان في الغبطة والسرور إلى عالم روعي محض ، يحمل بين برديه جميع مقومات

١- ابن جني ، الخصاص ، ١٣٥/٢ .

٢- ينظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة : ٤٠١/٢ ، ٤٤٠ ، ٣٧١ .

٣- سورة البقرة : الآية رقم (٢٦٥) .

والدلالة الألفاظ في التفكير البلاغي

الرضا من الله ، والعناية بالنفس التي لا تأمل إلا التثبيت والاستقامة . بهذا الصوت الدافئ أوحى الآية الكريمة إلى طمأنة النفس البشرية (١) . فالدلالة الإيحائية إذن هي شعور داخلي توحى به النفس الإنسانية بما تتأثر به من أصوات تحيط بها .

والدلالة الإيحائية النفسية هي الإيقاع الموسيقي للألفاظ بوصفها صوراً ذهنية سمعية ، فضلاً عن دلالتها المعنوية الخاصة بكل لفظة ، فهي ذات دلالة إيحائية تشيع في النفس مناخاً تخيلياً خاصاً يتسق وحركة النفس وذبذباتها الشعورية ، وينسجم مع إيقاعات موسيقاها الداخلية وإيقاعها .

ولم تقتصر جهود اللغويين لهذه الظاهرة على الربط بين إيقاع اللفظة من حيث مادة حروفها وبين دلالتها المعنوية والإيحائية ، بل تعدته إلى الربط بين الصيغة وحالتها من دلالة إيحائية معنوية ، بصرف النظر عن طبيعة الأصوات التي تركبت منها . فقد التفتوا إلى أن لكل صيغة من صيغ الزيادة دلالة معنوية إيحائية عامة تختلف عنها في الصيغ الأخرى (٢) .

والدلالة التي يوحى بها اللفظ بالأصداق والمؤثرات في النفس يكون له وقع خاص يسيطر على النفس ، ولا يوحى لفظ يوازيه لغة ، فهو مجال الانفعالات النفسية والتأثير الداخلي للإنسان .

وقد أدرك النقاد القديما حقيقة اللفظ الإيحائي (٣) ، وأن انتقاء الألفاظ والإحساس العالي بآثارها الخفية ، وما تنطوي عليه من معانٍ متعددة إحدى أهم الأسباب التي تميز العقلية الأدبية ، فبعض الكلمات توحى بأكثر من مدلولها

١- ينظر : د. محمد الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، ٢٥١ . د. مجيد ناجي ، الأسس النفسية للبلاغة العربية ، ٥٤ .

٢- ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ١٥٢/٢ .

٣- ينظر : د. محمد الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، ٢٣٧ .

واللغات الألفاظ في التفكير البلاغي

الظاهري ، ويتحد المقياس الفني في تقدير قيمة الألفاظ باعتبارها أصوات ، ومدى قدرتها على خلق إيحائية خاصة بها .

فالدلالة الإيحائية في اللفظ تفصح عن شاعرية الأداء ، والفهم الواعي لسلوك اللغة ، وما تلقيه الكلمة من معان خبيثة ، هي صدى تراكم الخبرات الفردية والجماعية التي صاغت نسيج التجربة النفسية والاجتماعية للجماعة المتداولة للغة واحدة .

إن الاضطرابات التي تطرأ على الصوت أنواع ، من أهمها : استعمال درجة صوتية شديدة الارتفاع أو بالغة الانخفاض بالنسبة إلى عمر المتكلم الجسمي ، واتسام الصوت بقوة شديدة أو نعومة مفرطة ورنين غير طبيعي ناتج عن عدم غلق التجويف الأنفي عند النطق بالأصوات غير الخشومية بدلالته الإيحائية .

وربما كان عبد القاهر الجرجاني والسكاكي من أكثر البلاغيين إفادة في بيان الأصول الدلالية في مباحث البلاغة العربية على اختلافها .

كذلك كان جهد العلوي (ت ٧٤٩هـ) في تقسيم الألفاظ في دلالتها على المعنى إيحائياً إلى خمس مراتب جهداً متميزاً ، حيث قسمها إلى : الألفاظ المتواطئة ، والألفاظ المتباينة ، والألفاظ المترادفة ، والألفاظ المشتركة ، والألفاظ المستغرقة (١) .

وحاول البلاغيون جاهدين وضع مصطلحاتهم الخاصة ، وتقسيماتهم لعلوم البلاغة في القرون المتقدمة ، وفي عصر الجرجاني وما بعده إلى عصر السكاكي والقزويني ومن تبعهما من الشراح ، وكانوا في ذلك يهدفون إلى استقلالية البلاغة العربية .

١- ينظر : العلوي ، الطراز ، ١٥٠/٢ - ١٥٢ .

والدلالة الإيحائية في التفكير البلاغي

والدلالة الإيحائية عند عبد القاهر الجرجاني على ضربين : دلالة مباشرة ، ودلالة غير مباشرة . وهو تقسيم يتفق مع تقسيم بعض النقاد للمعاني إلى معان أول وثوان ، وجعل عبد القاهر مدار الدلالة الثانية الكناية والاستعارة ، والكناية هي أساليب الإفصاح عن المعنى الثواني .

ولا يعني عبد القاهر بتتالي الألفاظ وإيحاءها أن ترصف بعضها إلى بعض ، بل يعني به التناسق الدلالي بين هذه الألفاظ المرصوفة . يقول : " إذ ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " (١) .

وقد توحى الدلالة برموزها التي تناسب اللفظ أو المعنى إلى معرفة الدال والمدلول . والبلاغيون ومنذ وقت مبكر سجلوا بذلك سبقاً علمياً على كل من ادعى أنه مبتدع هذا العلم . والمعنى الإيحائي هو أحد المقاييس التي يرجع إليها في تقدير قيمة اللفظ ، وهو المسئول عن روعتها وجودتها ، أو قبحها ورداعتها . كما أن علماء البلاغة يسعون دائماً جاهدين إلى الكشف عن ذلك المعنى الإيحائي ، وبمقدار ما يكتشفون فيه يتفاوتون في القدرة والمهارة ، فأذكاهم وأشدهم فطنة ، هو الذي يستوعب ما توحىه اللفظة ، ويتنبه لما تثيره حولها من الدلالات والمعاني (٢) .

وكل لفظ يدل على العموم بل هو من أدوات العموم ليتساوى المعنى العام مع اللفظ العام ، وما أراد به الإيحاء الخاص الكامن وراء دلالة اللفظ ، فإنه يختار لتلك الدلالة بذلك الإيحاء .

١- عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ١٧٣ .

٢- ينظر : د. نعمة العزاوي ، النقد اللغوي عند العرب ، ٢٣٢ .

وكان ابن الأثير قد اهتم بالإحياء وجعله مسئولاً عن روعة الكلمة وجودتها ، يتضح ذلك من تعليقه على لفظتي ، (كل حاجة) في قول الشاعر :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو مسح

يقول ابن الأثير : " إن في قول هذا الشاعر : (كل حاجة) مما يستفيد من أهل النسيب والرقّة والأهواء والمقّة ما لا يستفيد غيرهم ، ولا يشاركونهم فيه من ليس منهم " (١) .

لقد قاس ابن الأثير الألفاظ بمدى إحيائها ، ورأى أن الإحياء يكون بتحقيق اللفظ الحقيقي ، وعندها يتحقق اللفظ المجازي ، إلا أن استعمال الألفاظ في معان مجازية هو الذي يكسبها في الغالب تلك الإحياءات والظلال . كما أنه هو الذي يمنحها القدرة على تحريك خيال السامع بما توحيه تلك الأصوات .

وواضح أن ابن الأثير قد أدرك ما يقول به المحدثون من أن اللفظة قد تثير في بعض النفوس ما لا تثيره في نفوس أخرى من ظلال وإحياءات ، وذلك بحسب ما للفرد أو الأفراد من التجارب مع ما توحيه تلك اللفظة (٢) .

من خلال ما تقدم يتضح لنا أهمية الدلالة الإيحائية وتأثيراتها النفسية على المتلقي بأصواتها الموحية .

١- ابن الأثير ، المثل السائر ، ٣٤١/١ .

٢- ينظر : جون لايكوف ، الاستعارات التي نحيا بها ، ٣٢٥ .

أهم نتائج البحث :

- ❖ الصوت الحسن يثير مشاعر الإنسان وترتاح له النفس لسماعه ، فضلاً عن بقية الكائنات الحية ، فيسرها سماع الأصوات التي تحيط بها .
- ❖ فيما يتعلق بدلالة الألفاظ فكل دلالة لها إحاء خاص بها ، وأن استقلال اللفظ بحروف معينة يكسبها ذائقة سمعية مؤثرة في النفس ، منها ما يطلق عليه الدلالات اللفظية ومنها الدلالة الصوتية أو المحاكاة الصوتية ، وأن كل لفظ هو صوت دال على معنى معين .
- ❖ لا تقف المطابقة في اللفظ عند مطابقة اللفظ لمعناه ، بل ينبغي أن يطابق اللفظ ما يجاوره ، وينسق مع الألفاظ التي تحيط به من حيث الجرس الموسيقي ، ومن حيث مطابقة معناه لمعنى ما حوله من الألفاظ ، حتى يكون العمل الأدبي سليماً ، منسق الأجزاء ، متراص اللبانات . كذلك حتى تتحقق فيه الوحدة الفنية بين أجزاء العمل الأدبي . وهذا ما تنبه إليه النقاد والبلاغيين العرب ، فقد أحسوا بحاجة الأديب إلى إدراك المطابقة بين المعاني والموضوعات ، وضرورة رعاية هذه المطابقة التي لا تستغني عنها البلاغة ، التي أجمع على أنها بلوغ الغاية من الأعمال الأدبية ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال .
- ❖ الدلالة التي لفتت أنظارنا هي الدلالة النفسية ، ونظن أن أغلب الدلالات لها تأثير نفسي ، وهذا ما فعله العلماء العرب عندما عالجوا بعض المرضى بالموسيقى فلاحظوا نتائج إيجابية بتحسن صحة هؤلاء المرضى عند سماعهم لأنغام الموسيقى .

ثبّت المصادر والمراجع :

- * د. إبراهيم أنيس :
- دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٦ .
- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٢ .
* ابن الأثير ؛ ضياء الدين (ت ٦٣٦ هـ) :
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمد محيي الدين ، المكتبة
العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥ .
* د. أحمد بدوي :
- من بلاغة القرآن ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٨ .
د. أحمد محمد قدور :
- مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٦ .
* د. أحمد مختار عمر :
- علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٣ ، ٢٠٠٤ .
* عمرو القيس بن حجر الكندي :
- الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٤ .
* الأنصاري ؛ زكريا بن محمد (ت ٩٢٦ هـ) :
- الحدود الأيقة في التعريفات الدقيقة ، تحقيق : د. مازن المبارك ، دار الفكر
المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٩ .
* د. تمام حسان :
- الأصول ؛ دراسة إبستمولوجية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط ٢ ، ١٩٩٨ .
- مناهج البحث في اللغة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
* التهانوي ؛ محمد بن علي (كان حياً في ١١٥٨ هـ) :
- كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق : علي دحروج ، لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٦ .
* توفيق الزيدي :
- أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ٢٠٠٤ .
* د. جابر عصفور :
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،
٢٠٠٣ .

- * الجاحظ ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) :
- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.
- * الجرجاني ؛ علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) :
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد الجاوي ، المكتبة العصرية، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥.
- * الجرجاني ؛ علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ) :
- التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- * ابن جني ؛ أبو الفتح عثمان بن حني (ت ٣٩٢ هـ) :
- الخصائص ، تحقيق : محمد النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩.
- * حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ):
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق: محمد بن خوجة، دار الكتاب، تونس ، ١٩٦٦.
- * الخطابي ؛ أبو سليمان أحمد بن محمد (ت ٣٨٨ هـ) :
- بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٩ .
- * ابن درستويه ؛ أبو محمد عبد الله بن جعفر (ت ٣٤٧ هـ) :
- تصحيح الفصح ، تحقيق: عبد الله الجبوري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٥ .
- * الرازي ؛ فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) :
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق : د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٥ .
- * الراغب الأصفهاني ؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ) :
- المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد كيلاني ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ٢٠٠١ .
- * د. رشيد العبيدي :
- مباحث في علم اللغة واللسانيات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
- * ابن رشيق القيرواني ؛ أبو علي الحسن بن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) :
- العمدة في نقد الشعر ، تحقيق: محمد محيي الدين ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١ .
- * الرماني ؛ علي بن عيسى (ت ٣٨٤ هـ) :
- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٩ .

- * الزمخشري ؛ محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) :
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، مكتبة الأشراف ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- * د. سالم شاكر :
- مدخل إلى علم اللغة ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٨٧ .
- * السكاكي ؛ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦ هـ) :
- مفتاح العلوم ، تحقيق : د. عبد الحميد هندواوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
- * ابن سنان الخفاجي ؛ أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٤٦٦ هـ) :
- سر الفصاحة، تصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- * ابن سينا ؛ أبو علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨ هـ) :
- أسباب حدوث الحرف ، تحقيق : محمد الطليان و يحيى مير علم ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٣ .
- الخطابة من كتاب الشفاء ، مكتبة ابن رشد ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٦ .
- * ابن طباطبا العلوي ؛ أبو القاسم أحمد بن محمد (ت ٣٤٥ هـ) :
- عيار الشعر ، تحقيق : د. محمد زغلول ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ .
- * الطبرسي ؛ الفضل بن الحسن (ت ٥٥٢ هـ) :
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- * ابن عبد زيّنه ؛ أبو حنيفة أحمد بن محمد (ت ٣٢٧ هـ) :
- العقد الفريد ، تحقيق : أحمد أمين وآخرين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
- * د. عبد السلام المسدي :
- للتفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٧ .
- * د. عبد القادر الفاسي الفهري :
- ، اللسانيات واللغة العربية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٩ .
- * عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :
- أسرار البلاغة ، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- دلائل الإعجاز، تحقيق : محمود شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

- * أبو عبيدة ؛ معمر بن المثنى (ت ٢٠٨ هـ) :
- مجاز القرآن ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ،
١٩٨٨ .
* د. عز الدين إسماعيل :
- الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٣ ، ٢٠٠١ .
* العسكري أبو هلال ؛ الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ) :
- كتاب الصناعتين ، تحقيق : محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ، دار الجيل ،
بيروت ، ١٩٨٨ .
* العلوي ؛ يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩ هـ) :
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، تحقيق : محمد شاهين ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، ١٩٩٥ .
* د. علي عبد الواحد وافي :
- علم اللغة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٥ .
* د. علي ناصر غالب :
- لهجة قبيلة أسد ، دار القلم ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
* ابن فارس ؛ أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) :
- الصحاح في فقه اللغة ، تحقيق : السيد صقر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة
٢٠٠٣ .
- مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط ٤ ، ٢٠٠٣ .
* د. فاضل صالح السامرائي :
- معاني النحو ، دار عمار ، الأردن ، ١٩٩٨ .
* الفراء ؛ أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) :
- معاني القرآن ، تحقيق : محمد نجاتي ومحمد النجار ، دار السرور ، بيروت ، ط ٢ ،
١٩٩٥ .
* ابن قتيبة ؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) :
- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : السيد صقر ، مكتبة التراث ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
* قدامة بن جعفر (ت ٢٣٧ هـ) :
- نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٨ .

- * القزويني ؛ محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) :
- الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار ،
القاهرة ، ١٩٩٨ .
- * د. كريم زكي حسام الدين :
- أصول تراثية في علم اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٥ .
- * الكفوي ؛ أبو البقاء أيوب بن عيسى (ت ١٠٩٤ هـ) :
- الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- * الكندي ؛ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٥٦ هـ) :
- رسالة في الموسيقى ، مكتبة السياب ، لندن ، ٢٠٠٣ .
- * د. لطفي عبد البديع :
- التركيب اللغوي للأدب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
- د. ماهر مهدي هلال :
- جرس الألفاظ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- الرؤية الأسلوبية ، دار الحوار ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- فخر الدين الرازي بلاغياً ، منشورات الحوار ، دمشق ، ١٩٧٧ .
- * المبرد ؛ أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) :
- الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،
بيروت ، ١٩٩٧ .
- * د. مجيد عبد المجيد ناجي :
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٨ .
- د. محمد حسين الصغير :
- تطور للبحث الدلالي ، مطبعة اليرموك ، الأردن ، ١٩٨٨ .
- لصوت اللغوي في القرآن ، دار المؤرخ ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
- للصورة الفنية في المثل القرآني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
- * د. محمد صالح :
- الثورة التكنولوجية واللغة العربية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٣ .
- * محمد عبد الله سيف :
- البحث الدلالي عند الشوكاني ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ٢٠٠٥ .

- * د. محمود السعران :
- علم اللغة ؛ مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ، ٢٠٠٦ .
- * د. محمود سليمان ياقوت :
- علم الجمال اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ .
- * د. محمود فهمي حجازي :
- مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٨ .
- د. مصطفى مندور :
- اللغة بين العقل والمغامرة ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- * ابن منظور ؛ جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) :
- لسان العرب ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- * د. منقور عبد الجليل :
علم الدلالة ؛ أصوله ومباحثه في التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ .
- د. ميشال زكريا :
علم اللغة الحديث ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١ .
- * النايغة الذبياني :
- الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٩٠ .
- * د. نعمة العزاوي :
- النقد اللغوي عند العرب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- (المراجع المترجمة :
بيير جيرو :
- علم الدلالة ، ترجمة : د. منذر عياشي ، معهد الإتمام العربي ، حلب ، ١٩٩٤ .
- * جون لايكوف ومارك جونسون :
- الاستعارات التي نحيا بها ، ترجمة : عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ،
الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠٠٩ .
- * ستيفن أولمان :
- دور الكلمة في اللغة ، ترجمة : د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- * لويس هورتيك :
- الفن والأدب ، ترجمة : بدر الرفاعي ، سلسلة الفكر العالمي ، المجلس الوطني
للنون والثقافة والآداب ، الكويت ، ١٩٨٧ .